حسين السكّاف

طاقة الحب

مسرحيتان

شقيق الورد

هموم السيد محترم

AL-RAWSAM
الرّوسم
للصحافة والنشر والتوزيع

طاقة الحب

مسرحيتان

الكتاب: طاقة الحب

مسرحيتان

الكاتب: حسين السكّاف

الطبعة الأولى 1436هـ /2015م

عدد النسخ: 1000 نسخة

جميع الحقوق محفوظة

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (1787) لسنة 2015

الناشر: الروسم

للصحافة والنشر والتوزيع

بغداد - شارع المتنبي - مجمع المالي التجاري

هاتف: 07714247592

E-Mail: zaeemalnassar@yahoo.com

للإتصال بالمؤلف

إيميل: halsagaaf@hotmail.com

موبيل: 004527440907

الغلاف والإخراج: م. جمال الأبطح

Copy Right © AlRawsam Publishing

لا يسمح بطباعة هذا الكتاب أو تصويره أو نسخه

إلا بإذن خاص ومسبق من الناشر

All right reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted. without permission in writing from the publisher

طاقة الحب

مسرحيتان

شقيق الورد

هموم السيد محترم

حسين السكّاف

الإهداء ..

إلى ضحايا المقابر الجماعية

شقيق الورد

مسرحية من فصل واحد

الشخصيات:

الطفل

وفية

عزيز

أصوات ..

الطفل

العمة

الضابط

طبيب 1

طبيب 2

المكان

غرفة نوم بيتية تشغل حيز المسرح. في وسط المسرح **ينتصب سرير** لشخصين، معلقة فوقه حيث الجدار صورة لعروسين **في ملابس الزفاف.** باب الغرفة إلى يمين المسرح، وبين الباب والسرير خزانة **صغيرة بأدراج** ثم شماعة ملابس، إلى الجانب الأيسر من السرير **منضدة قراءة عليها** بعض الكتب والأوراق، وعلى جانبيها كرسيان. إلى **أقصى يسار المسرح،** توجد خزانة ملابس بثلاثة أبواب تشغل ضلع الغرفة **المقابل لبابها. ثم** منضدة دائرية صغيرة لا يتجاوز ارتفاعها متراً واحداً، **تكون قريبة من** حافة المسرح المواجهة للجمهور.

المشهد الاستهلالي

ستار

(«لا تظهر خلال المشهد أية قطعة من ديكور الغرفة». المشهد يستغل النصف الأمامي من خشبة المسرح، حيث تظهر أكوام من التراب أو الرمل ترمز إلى قبور، وعلى كل كومة مثبتة لوحة صغيرة مكتوب عليها رقم. تكون الأرقام على الشكل التالي 1979، 1980، 1981، 1982، 1983، 1984... حتى الرقم الأخير 2003.

يبدأ المشهد بموسيقى هادئة لآلة الجلو، ثم يدخل طفل جميل مبالغ في جماله ونظافته وشفافية ملابسه، وكأنه طائر كوني هبط من السماء. الطفل لا يتكلم بل يأتي صوته من الخارج إشارةً إلى صوت السماء أو صوت الحقيقة، والطفل يؤدي حركات إيمائية وكأن روحه هي التي تتكلم. يحمل بين يديه باقة ورد كبيرة، يخطو بين أكوام التراب وكأنه يلعب. يقوم الطفل في أثناء تحركه بوضع زهرة على كومة التراب التي يختارها بشكل عشوائي، يقف قليلاً وكأنه يصلي ثم يضع الوردة، ويذهب ليختار كومة أخرى).

صوت أيها الطيبون، أبناء الحياة

الطفل - ها قد ولى زمنٌ وفات
أيها الحالمون، بقرص خبز
وكرامة أرض وثبات

مَنْ؟

أأنتم؟،

أم حلوُ الغاية صار رفاة؟

أيتها الأرواح الممزوجة بطيب الأرض

في الدنيا، وفي الممات

ها قد ولى زمن وفات

أيها الطيبون، أبناء الحياة

ها قد «مضى» زمن الطغاة

منذ زمن بعيد، بعيد جداً، والإنسان منشغل في ابتكار طرق وأساليب لمعرفة مصيره. استخدم من أجل تلك الفكرة كل شيء، النجوم، الألوان، الحيوانات، الفصول، وغيرها الكثير الكثير، ولم يبق شيء عرفه إلا واستخدمه من أجل تلك الفكرة التي كانت وما زالت تعيق مسير حياته. قلة قلية من البشر كانوا يفكرون في الواقع، كانوا يستخدمون رموز الواقع المعاش لتحسين مصيرهم وليس لمعرفته، فهناك فرق كبير بينهما، فالذي يسعى جاهداً لمعرفة مصيره تراه هائماً في عالم الضياع، غارقاً بهلوسة الغيبيات، بينما تجد من يسعى لتحسين مصيره، أو من يحاول تصحيح صورة المصير ليكون أجمل من ما هو متوقع، يتصف بالعقل الراجح والكياسة. الذين يفكرون بتحسين مصيرهم كانوا يدربون أنفسهم على أشياء كثيرة، أحدهم قال: إذا كانت هناك حرب فعليك أن تفكر جيداً على ألا تكون من ضحاياها، وإذا كنتَ في أمان

عليك أن تفكر جيداً كيف تحافظ عليه، وقال الآخر: إنَّ على الإنسان أن يتعلم التقاط الإشارات المنبعثة من الإنسان المقابل، فلكل طبيعة بشرية إشارتها الخاصة، للطيب إشارة، وللخبيث إشارة، للقاتل إشارة وللمسالم إشارة، للخجول إشارة وللوقح إشارة، على الإنسان أن يدرب نفسه على التقاط تلك الإشارات كي يتوجه إلى طريقه السالك المؤدي إلى تحسين مصيره. بمقدور الإنسان فعل ذلك، أليس هو من يلتقط إشارات الحب بأقصر زمن ودون أية كلمة؟، إذاً فعلية أن يدرب نفسه على الإشارات الأخرى.

أيتها الأرواح الممزوجة بطيب الأرض
في الدنيا وفي الممات
ها قد ولى زمن وفات
أيها الطيبون، أبناء الحياة
ها قد «مضى» زمن الطغاة

ستار

المشهد الأول

(موسيقى لعزف عود منفرد، يعزف لحن معين، سيتكرر بين مشاهد المسرحية، أحياناً بمرافقة الغناء، وأحياناً أخرى موسيقى فقط. تدخل امرأة في الأربعين من عمرها يظهر عليها الحزن والقنوط، وآثار تراب ظاهر على عباءتها. تقترب من شماعة الملابس فتشرع في تعليق عباءتها، تسمع صوتاً نسائياً من داخل البيت).

العمة - (يأتي صوتها من خلف الكواليس) وفية، بشريني هل سمعتِ شيئاً ؟.

ترفع وفية يدها اليمنى بصمت لتوحي إلى الصوت بالسكوت، فهي في حالة يأس ووجوم. تستدير بوجهها إلى الجمهور فيظهر كيسٌ بلاستيكي كبير بعض الشيء تحمله في يدها اليسرى، ترفع الكيس ببطء وهي تقترب من حافة المسرح ثم تحتضنه كالطفل وتطوح بذراعيها والكيس بينهما وكأنها تهدهد طفلاً رضيعاً، يبدأ صوتها بآهات مختنقة تظهر حرقةً وجزعاً

وفية - آه .. آه .. آه .. حبيبي .. يا حبيبي .. آه .. آه . (تستمر في أناتها لتظهر شقاءً ولوعةً استمرت معها طويلاً، لتجد نفسها اليوم وقد تخلصت من ذلك الشقاء بشكل نهائي. ينخفض صوتها رويداً رويداً ثم تصمت مغمضة العينين راميةً رأسها على كتفها الأيمن وكأنها في إغفاءة. تنطفئ الأضواء بشكل تدريجي ثوانيَ معدودات)

المشهد الثاني

(جميع زوايا المسرح مظلمة، سوى بقعة ضوء كبيرة مسلطة على وفية حيث السرير، تظهر المرأة وهي جالسة على حافة السرير تنظر إلى الكيس البلاستيكي الذي يتوسط السرير، تبدأ الغناء بصوت منخفض يعلو تدريجياً).

وفية - خايفة ... تنساني حبيبي
يا حبيبي خايفة
يمحيني البعد من بالك
وتمحيني المسافة
يمحيني البعد من بالك
وتمحيني المسافة

العمة - (يأتي صوتها قاطعاً غناء وفية التي تصمت حين سماعها صوت عمتها) وفية لماذا تغنين الآن، الوقت مبكر للنوم؟

وفية - (وهي تنظر إلى الكيس البلاستيكي) حبيبي لماذا لا تفي بوعدك هذه المرة، لم أعتد منك نكث العهود، حتى وعدك الأخير لي عندما اختطفك اللصوص من بين أحضاني في تلك الليلة الممطرة، نظرت إليَّ وأنتَ بين أيديهم وقلت لي، لا تخافي سأعود، وها أنتَ تفي بوعدك وتعود لي، لا يهم كيف عدت ومَنْ أتى بك، فمن الطبيعي أن تحتاج إلى من يصطحبك إلى بيتك بعد هذا الغياب الطويل، هل تعرف كم

طال غيابك، بالتأكيد تعرف، عشرون عاماً، تصور عشرين عاماً بالتمام والكمال، عليك أن تفي بوعدك الآن، ألم تقل لي بأن صوتي يحيي العظام وهي رميم؟ ألم تقل بأنك تشعر حين تسمع غنائي كأنك تولد من جديد، قلت لي حينها بأن هذه الأغنية تجعلني كعفريت مصباح علاء الدين، فحين تغنيها أخرج بين يديكِ طفلاً نقياً حتى لو كنت تحت الأرض.

العمة - وفية، لم تقولي شيئاً، هل سمعتي أي شيء عن عزيز؟

(تنهض وفية بفزع متوسط الحدة وكأنها استيقظت من حلم جميل، بينما يبقى نظرها شاخصاً إلى الكيس).

وفية - هذا صوت عمتي، أمك، **(تستدير لتواجه باب الغرفة)**، ترى ماذا يحصل لهذه المرأة التي شاطرتني همومي طيلة هذه السنين لو أخبرتها بأن ابنها قد عاد، هل تصدق؟ هل تحظى بعناقه بعد ما صار العناق أمنيةً مستحيلة الحصول؟ عمتي التي أطفأت الدموع نور عينيها منذ عشرة أعوام، هل ترضى بعودته دون أن تشم رائحة ابنها وهي تعانقه؟

العمة - وفية أخبريني ماذا حصل معك؟ هل تعرفين بأني بدأت أشم رائحة عزيز منتشرة في فناء الدار، رائحته تصلني بشكل خفيف، يبدو أنه في الطريق إلينا. **(تبدأ العمة بترنيمة غنائية، تشبه ترنيمة الأطفال)**

ردّت الولد من بعد العيونْ

بعد العَمام الما يحنون

ردتهُم بالعمَى ودومَنْ يونون

(تستدير وفية صوب الكيس بينما العمة مستمرة في ترنيمتها، تمسح بيدها أعلى الكيس وكأنها تداعب شعر طفلها، وحين تنتهي العمة من الكلام)

وفية - يبدو أنك تريد أن أكمل لك الأغنية حتى تريني وجهك الجميل، **(تبدأ وفية بالغناء)**

خايفة يتشرد الغيم .. وأتشرد وحيدة

خايفة تجي الفرحة .. تلكّاني بعيدة

لون السما يحزن .. وشمعاتنا يطفن

وتذبل فرحة العيد .. وتضيع القصيدة

تضيع القصيدة

خايفة ....

العمة - ألم أقل لكِ بأني أشم رائحة عزيز؟ وهذا غناؤك في الوقت غير المعتاد هو أهم علامة لعودته.

وفية - آه حبيبي، أرجوك لا تكن عنيداً، اظهر لي كما وعدتني، **(تقف وفية بشكل مفاجئ وكأنها تذكرت شيئاً مهماً)**، لا، لا تظهر الآن إنتظر لحظة، **(تذهب صوب خزانة الملابس وتختفي خلف بابها الذي فتحته للتو، بينما تستمر بكلامها)**، يبدو أن الصحراء التي جبتها اليوم بحثاً عنك قد عفر ترابها وجهي، أنت محق بالطبع فكيف تريني وجهك الجميل وأنا معفرة بالتراب؟، هل تعرف حبيبي أن الرقم الذي عثرت من خلاله عليك هو رقم العام الذي تزوجنا فيه، نعم، أقسم لك أن الرقم كان ١٩٨٣، الملاعين الكلاب تركوا

اسمك بالسجل فقط، وحولوك إلى رقم ثبتوه على التراب الذي كنت تختبئ تحته، تصور يعرفون أين تختبئ وحين كنا نسأل عنك كانوا يقولون إن اسمك لم يمر عليهم إطلاقاً. **(تخرج بعد أن أغلقت باب الخزانة وهي مرتدية قميص نوم أبيض يغطيه روب من اللون نفسه، تخرج وهي تحاول أن ترتب حاجبيها بيديها وبعض الحركات التي تظهر اهتمام في ترتيب المظهر، ثم تعود إلى وضعها السابق وهي تداعب الكيس.)**

الآن أنا جاهزة على ما أعتقد، لكن حبيبي أرجوك ألا تعيب عليَّ إذا كان هناك بعض العيب. هل تتذكر هذا القميص إنه قميص العرس، لم ألبسه منذ تلك الليلة التي خطفك فيها الأنذال، أتذكر تلك الليلة جيداً، كنت حينها جالساً خلف مكتبك ذاك، تكتب قصيدة عن صورة طفل في عامه الأول **(تطفأ الإضاءة في الجانب الذي تتواجد فيه وفية بينما تضاء بقعة من الضوء يظهر عزيز جالساً خلف المكتب مشغولاً في الكتابة، بينما تستمر وفية في الحديث وهي تقترب من مكان عزيز دون أن تسلط عليها الأضواء)** أتذكر اسم القصيدة كان عنوانها «شقيق الورد» وحينها سألتك عن معنى ذلك الاسم **(تنير بقعة ضوء أخرى على الكرسي المحاذي للطاولة التي يجلس خلفها عزيز فتظهر وفية قائلة)** حبيبي ماذا تقصد بشقيق الورد؟

عزيز - شقيق الورد هو الطفل، تلك الصورة التي طالما اعتمرتها

مخيلتي، فالطفل منذ اليوم الأول لولادته حتى يتم عامه الأول لا يختلف كثيراً عن الوردة، لونه، رقته، رائحته، صفاؤه، حبه للحياة، وغير ذلك. وشقيق الورد هو اسم ابني الذي أنتظره، سوف أسميه شقيق الورد.

وفية - الله، هذا الاسم لم يخطر في بال أحد من قبل، هل تعرف حبيبي أن هذا الاسم وحده يمثل قصيدة كاملة المعنى والصورة؟

عزيز - (**وهو ينظر صوب زوجته**) لا تبالغي كثيراً، لقد وجدتِ تلك الصورة بعد أن فسرت لك الاسم، وهذا التفسير هو ما يشغلني كي أصوغه على شكل قصيدة. تعرفين بأنني لست بشاعر ولم أكتب لغاية اللحظة سوى عنوان القصيدة (**تطفأ بقعة ضوء المسلطة على وفية بينما يبقى الضوء منيراً على عزيز وهو مستمر بالحديث**) ولكن الصورة في ذهني كاملة منذ زمن بعيد. (**يستدرك**) صحيح حبيبتي أريد أن أسألك، رغم أن زواجنا لم يمض عليه شهران بعد، هل تظنين بأننا سنرزق بشقيق الورد قريباً. (**تطفأ بقعة الضوء المسلطة على عزيز، لتضاء بقعة ضوئية على السرير حيث تظهر وفية في جلستها السابقة، فتقول وهي تنظر صوب طاولة الكتابة**)

وفية - (بشيء من الفزع والغضب) عندها طرق الكلاب الباب طرقتين هزت الدار، ولم ينتظروا، رفسوا الباب الخارجي ودخلوا مسعورين إلى هنا ليقتادوك دون أن يقولوا شيئاً عن السبب، لم يقولوا سوى الأوامر بالسكوت والتهديد.

العمة - ابنتي، ماذا دهاك اليوم؟ مع من تتحدثين، هل أتى عزيز؟ أشم رائحته تزداد في أروقة البيت، أرجوك أن تقومي بغسل باحة الدار، وأن ترتبي غرفتك جيداً، وأن تغيري شراشف السرير، أنا على يقين بأن ولدي في طريقه إلينا، رائحته تزداد في البيت كلما مر الوقت، ولا تنسي يجب أن نستعد لاستقبال الضيوف، فأصدقاء عزيز، أقصد الذين بقوا من أصدقائه بالتأكيد سوف يأتون لزيارته.

وفية - **(تتكلم دون أن توجه كلامها لعمتها)** أصدقاؤه الذين كان يحبهم أكلهم الغول، غول الحروب، كانوا في كل إجازة يأتون ويسألون عنه وفي كل مرة ينقص عددهم، حتى حيدر تلميذه النجيب، أصبح جسده الغض طعاماً شهياً للكلاب السائبة والذئاب حين قتل وهو منهزم من الحرب التي لم يكن مؤمناً بها، قتل وهو في طريقه إلى أهله بعد أن فر من أرض الكويت، ليصبح طعاماً دسماً ملقى على الأسفلت بين البصرة والناصرية. **(توجه كلامها صوب الكيس)** حبيبي هل تتذكر حيدر، تلميذك الذي حدثتني عنه طويلاً؟ **(تطفأ الإضاءة في الجانب الذي تتواجد به وفية بينما تضاء بقعة من الضوء تظهر عزيزاً واقفاً أمام مرآة الخزانة يسرح شعره، بينما تستمر وفية في الحديث وهي تقترب من مكان عزيز دون أن تسلط عليها الأضواء)** تلميذك الذي كنت معجباً به وبرسوماته الجميلة؟، أتذكره جيداً، أتذكر كيف كنت تحدثني عنه؟ حينها قلت:

عزيز - هل تعرفين بأن أحد طلابي فنان تشكيلي موهوب، أعتقد أن شأنه سيكون كبيراً في المستقبل، أستطيع أن أقرأ مستقبله من خلال خطوطه الجريئة، وخياله الواسع، اليوم مثلاً، رسم عيناً بشريةً بدقة هائلة وكأنه درسَ مادة التشريح على أعظم الفنانيين التشكيليين في العالم، (**يضحك ساخراً**) التشريح مادة يدرسها طلبة الفن التشكيلي، وليس تشريح الأطباء طبعاً. (**تطفأ الإضاءة المسلطة على عزيز، وتعاد الإضاءة التي كانت مسلطة على وفية**).

وفية - (**توجه حديثها إلى الكيس**) كان المسكين يزورنا باستمرار، في البداية كان يقف عند الباب، يسألنا ويطمئن علينا، وعندما كنا نلح عليه كي يدخل البيت، كان يرفض، فأصبح يصطحب والدته معه في كل مرة كي يلبي رغبتنا. المسكين لم يقبلوه في الأكاديمية كي يدرس الرسم، لقد رفضوه لأنه لا ينتمي إليهم، فعلى الرغم من نجاحه بشهادة الإعدادية بمعدل جيد، إلا أنه لم يختر سوى دراسة الرسم، رفضوه وساقوه إلى العسكرية، كي يصبح طعاماً للكلاب.

العمة - (**تعيد كلامها السابق**) وفية .. أرجوك أن تقومي بغسل باحة الدار، وأن ترتبي غرفتك جيداً، وأن تغيري شراشف السرير، أنا على يقين بأن ولدي في طريقه إلينا، رائحته تزداد في البيت كلما مر الوقت، ولا تنسي يجب أن نستعد لاستقبال الضيوف، فأصدقاء عزيز، أقصد الذين بقوا من أصدقائه بالتأكيد سوف يأتون لزيارته. آه يا عزيز، أشم رائحتك ولا

أراك، آه .. آه

من كثر همي غديت اتراب

مثل الذبيحة بيد كَصاب

والموت أشوه (يا عزيز) من العذاب

وفية - عمتي .. آه هي محقة، علي أن أرتب غرفتي كي تليق بعودة حبيبي الذي انتظرته طويلاً **(تحمل الكيس البلاستيكي وتضعه برفق مبالغ فيه على الطاولة الصغيرة التي تتوسط أرضية المسرح، تقف وتنظر إلى الكيس، ثم تبتسم وتبدأ بالغناء بصوت خافت، يعلو حينها صوت أوتار العود وهو يعزف لحن ما تغنيه وفية، عندها تباشر في ترتيب سريرها بعد أن تخرج من الخزانة شراشف العرس البيض والأغطية، ومع كل قطعة تقوم بتغييرها تقربها من الكيس وكانها تريها إلى شخص معين).**

خايفة ... تنساني حبيبي

يا حبيبي خايفة

يمحيني البعد من بالك

وتمحيني المسافة

يمحيني البعد من بالك

وتمحيني المسافة

العمة - **(ياتي صوتها قاطع غناء وفية)** عطر ولدي يقترب من روحي، وتلك المجنونة تغني، عطر ولدي وغناء زوجته يشعرني بالدفء والرغبة في البكاء.

(يتوقف الغناء بعد أن تنتهي وفية من الترتيب، ويبقى صوت العود يعزف موسيقاه التي تُسمع وكأنها بعيدة بعض الشيء، تقترب وفية من الكيس، وتجثو على ركبتيها خلف الطاولة وهي تنظر إليه بحنان ورقة مبالغ فيها).

وفية - منذ زمن بعيد، منذ الأيام الأولى لاختفائك بين أيدي اللصوص باتت الذكرى عطري الليلي، وخيالك قميص نومي، وتلك الحدقة السوداء قلادتي، أصابعك شموع الدفء وذكرى صوتك موسيقاي. منذ زمن بعيد وخيالك ينام إلى جانبي على هذا السرير الذي جمعنا أياماً معدودات. ولكن، اليوم وبعد أن عدتَ، وبعد أن لبستُ قميص عرسي وعاد السرير إلى عهده، لن أتنازل عن احتضانك ونحن في سريرنا لتشعرني بالدفء، أعتقد بأنك تشاطرني الرغبة؟، ألم تشتق لي طيلة تلك السنين البغيضة التي مرت بثقل مقرف .. ها؟، تعالَ إذاً **(تحتضن الكيس وتستدير صوب السرير)** سوف أعيدك إلى العرش الذي بنيناه معاً، عرش الحب والحياة، وتلك الأمنيات التي كانت تحرك طيور الجنان في أحشائنا وهي تتحقق الواحدة تلو الأخرى. **(تضع الكيس على السرير وتباشر في فك رباطه، تطفأ الأنوار على زوايا المسرح كافة ويبقى النور مسلطاً على السرير ووفية والكيس)** تعالى يا حبيبي سوف تنام إلى جانبي هذه الليلة **(تبدأ بإخراج العظام التي يحتويها الكيس الواحدة تلو الأخرى)** هذا ساعدك القوي الذي كنت تطوقني به، سوف

تلفه الليلة على عنقي، وهذا ساعدك الأخر الذي اعتاد تطويق خصري، سيكون مكانه هنا في هذا المكان (تضاء بقعة ضوء على الطاولة الصغيرة التي تتوسط مساحة الغرفة، فيظهر الطفل، الطفل نفسه الذي كان قد ظهر في المشهد الاستهلالي، وبهيئته نفسها وملابسه، وبالطريقة نفسها حيث يأتي صوته من خلف الكواليس، بينما يقوم بحركات توحي بأن الكلام له)

صوت الطفل - هذه الأم المزعومة عاشقة حد الجنون، لا تعرف اليأس، بل اليأس أصبح فيها مجنوناً.

وفية - الأضلاع .. آه الأضلاع .. سوف أرتبها كما يجب، لا تخف يا حبيبي سوف أضعها كما كانت من قبل.

صوت الطفل - لو أني ولدت حقاً، طفلاً صغيراً لهذه المرأة وتلك العظام، على أية صورة يا ترى سيكون الفطام؟ .. على لعنة السلطة لذرية العصيان، أم الصبر والشعارات والحروب والهذيان؟ ... أم على روح خاوية أجمل ما فيها حطام؟

وفية - لا تهتم كثيراً حبيبي، سأرتب كل جزء حسب مكانه، ما عليك سوى أن تستعد لعناقي، أن تستعد لتقبيلي وأن تضمني كما كنت في السابق، آه هذا الجزء (وهي تحمل عظم الحوض بين يديها) أعرفه جيداً، إنه عظم الـ (تُظهِر علامات الخجل وهي تبتسم) سوف أضعه أسفل الأضلاع، هنا، نعم هنا، ألم أقل لك لا تقلق؟ فأنا أعرف تماماً مكان كل جزء في جسدك الجميل.

صوت الطفل - مجانين، يتزوجون وينجبون دون أن يتأكدوا فيما إذا كانوا مؤهلين لذلك أم لا، تدفعهم رغبتهم الجنسية إلى الزواج ولا يريدون أن يصرحوا بها، بعضهم يتزوج بذريعة الحب، والآخر يريد امرأة تخدمه وتقضي له حاجياته اليومية، وهناك من يقول إنه قدر محتوم، فمصير الفتاة هو بيت زوجها، ويتمادى بعضهم في الكذب فيقول إن لوالديه الحق عليه في أن يجد لهما من يعتني بهما، وهكذا. كلهم يكذبون، كلهم يتزوجون بدافع الرغبة الجنسية، أقصد حين يكبر الحيوان في داخلهم ويصبح أكثر هيجاناً، يذهبون إلى قانون الحياة، يحتالون عليه بأكاذيبهم.

وفية - هذا الساق سيكون أسفل عظم الحوض، هنا، و... وهذا الساق الآخر هنا، بجانبه، أو بجانبي، فأنا سأنام في هذه الجهة من السرير.

صوت الطفل - يتزوجون وينجبون الأطفال، من دون أن يعرفوا، هل هم مؤهلون لتربيتهم أم لا، بالله عليكم قولوا لي (**يتوجه الطفل بنظره صوب الجمهور**) أليس هناك في سجون العالم آباء وأمهات من المجرمين والقتلة؟، ألم يوجد الكثير من المعاقين والمتخلفين عقلياً واجتماعياً في كل المجتمعات؟، هل يصلح كل هؤلاء لتربية أطفال من أجل أن يكوّنوا جيلاً صالحاً يفكر بإنشاء مجتمع سليم معافى خال من الجريمة والتخلف؟ لماذا يتوجب على المعلم أن يتجاوز سيلاً من الاختبارات بدءاً من الدراسة الإبتدائية حتى الامتحان النهائي الذي يؤهله

ليكون معلماً لأطفال صغار في سن السادسة، في حين يتزوج من يشاء وينجب من يشاء، من دون شهادة حسن سيرة وسلوك، أو حتى تعليم متوسط، أليست هذه مهزلة؟

وفية - سأضع أصابع يدك اليمنى على وسادتي كي أغفوَ وهي تحت وجنتيَّ، هنا، الإبهام ثم السبابة، والكل حسب الترتيب هذه هنا، وهذه هنا، أما هذه.

صوت الطفل - هم لا يعرفون بأن الطفل قبل أن يصبح جنيناً في بطن أمه، يكون روحاً هائمةً في المكان، مكان العشاق والأحبة وحتى الذين يتزوجون لإرضاء الوالدين، أماكن كثير تتجول فيها تلك الروح، الشارع والبيت والأزقه، يسمع الأحاديث ويعرف الأحداث، يضحك لضحك الناس ويبكي لبكائهم. أتذكر منذ أكثر من عشرين عاماً حين أتتني الرغبة في أن أكون جنيناً في أحشاء هذه المرأة، كنت أستمع للسيد عزيز الذي كان من المفروض أن يكون أبي، وهو يقول (تضاء بقعة ضوئية على المكتب بعد أن تطفأ بقعة الضوء المسلطة على وفية والطفل في آن واحد).

عزيز - طفلنا القادم سيكون متميز جداً، سأربيه وأجتهد بتعليمه، سأبذل قصارى جهدي لأجعل منه رجلاً يختلف عن بقية الرجال، سوف أسمعه الموسيقى، الموسيقى التي لم يسمعها طفل غيره من قبل، سأعلمه الألوان وطريقة الرسم، سأتلو عليه أجمل قصائد الدنيا، سأبني له على هذا الجدار مكتبة تضم أروع الكتب وأهمها، هل تعرفين يا حبيبتي ماذا يعني

لي شقيق الورد (**إنارة على الكرسي المجاور للطاولة التي يجلس خلفها عزيز، تظهر وفية في حالة إصغاء، يأخذ عزيز كفي وفية بكلتا يديه**) يعني لي كل شيء، هو الملك الوحيد الذي سأتخلى له عن عرشي في هذه الدنيا، سأسخر نفسي خادماً له، سأمنحه كل شيء جميل مما ستمنحني الحياة.

وفية - وأنا، أين سأكون من هذا؟

عزيز - أنتِ الملكة الأم، ألا يكفي هذا؟ أنتِ الجنة التي سيدخلها شقيق الورد ليكون ملكاً على ورود الكون، أنت القلب النابض الذي سيمنحه الحياه. (**تطفأ بقعتا الضوء المسلطتان على وفية وعزيز، وتضاء البقعة الضوئية على الطفل**).

صوت الطفل - تلك الكلمات التي قالها أبي المزعوم، جعلتني أشفق عليه، وجعلتني أحترمهُ أيضاً، فهو إنسانٌ نبيل، محب للخير وللحياة. حينها قررت أن أدخل رحم زوجته، وكنت على يقين بأن كل ما قاله الرجل هو محض أحلام، ولكن احترامي الكبير له، والذي صنعته كلماته الحالمة تلك، جعلتني اتخذ القرار، في الوقت الذي كنت أرى الحقيقة غير ذلك، ففي ذلك الوقت الذي كان فيه أبي المفترض يحلم بملكوته، كانت أعداد اليتامى تزداد بشكل مهول، كان قد مضت ثلاث سنوات على اشتغال طاحونة الحرب، الحرب .. هل تتذكرونها؟ وكان سيل جثث الآباء والأخوة والأزواج يأتي من جهة الشرق، وكنت أعرف بأن من سيكون أبي، شخصٌ عادي، بسيط، لايمتلك شيئاً سوى الثقافة والأخلاق العالية

وحب الناس، وهذا النوع من البشر يولد شهيداً، على الأقل هنا، أو لأكون متفائلاً قليلاً وأقول، في ذلك الوقت.

العمة - ها يا ابنتي هل أتممتي ترتيب غرفتك، هل فعلتِ ما قلته لك؟ أشم رائحة ولدي، ولكني تعبت قليلاً، سوف أنام وحين يأتي عزيز سأصحو، بالتأكيد سأصحو، لأن رائحته ستزداد وتوقظني.

صوت الطفل - هذا صوت جدتي، ضحية أخرى من ضحايا الأحلام، تزوجت وأنجبت، تزوجت من رجل شريف، يحب الحياة ويمتلك ثقافة لا بأس بها، كان ضابطاً عسكرياً شريفاً يحب وطنه، ويفكر بالفقراء واليتامى، ولكنه قُتِلَ، نعم قُتِلَ لأنه وُلِدَ شهيداً، أقصد شريفاً، قتلوه حين اندلعت أحداث التحوُّل إلى الجمهورية. حين قتل جدي كان أبي المفترض في عامه الأول **(يطفأ الضوء على الطفل، ويضاء على الحيز الذي يشغله السرير، تظهر وفية وهي تهم بالوقوف بعد أن كانت جاثيةً على ركبتيها وبين يديها جمجمة بنية اللون بلون التراب).**

وفية - **(تبدأ بالغناء، تتجول في بعض أماكن المسرح وهي تنظر بحب إلى الجمجمة)**

خايفة ... تنساني حبيبي
يا حبيبي خايفة
يمحيني البعد من بالك
وتمحيني المسافة ..

(تضع الجمجمة على الوسادة فيكتمل شكل الهيكل العظمي،

تقف وتنظر إليه كما ينظر المرء إلى عمل فني شديد الجمال، وهي مستمرة في الغناء، ثم تأخذ مكانها لتستلقي إلى جانب الهيكل العظمي، وهي مستمرة بالغناء بمصاحبة موسيقى آلة العود)

خايفة يتشرد الغيم .. وأتشرد وحيدة

خايفة تجي الفرحة .. تلكَاني بعيدة

لون السما يحزن .. وشمعاتنا يطفن

وتذبل فرحة العيد .. وتضيع القصيدة

وتضيع القصيدة ..

(تطفأ أضواء المسرح فيسود ظلام كثيف، ويبقى صوت العود يعزف اللحن لثوانٍ، فتنار الإضاءة على الطفل)

صوت الطفل - هذا الرجل الذي كان من المفروض أن يكون أبي لم يعلمه أحد فن التقاط الإشارة، ولم يفكر فيه من قبل، لذا نجد أن مصيره صار مأساوياً، **(يحاول أن يتكلم بهمس)** على الرغم من أني أعرف جيداً ألا أحد يستطيع الصمود أمام الحروب والعقول العفنة التي لا تحترم النفس البشرية الطاهرة، **(يعود ويتكلم كما في السابق)** مسكين أبي، أقصد الذي كان سيكون أبي، لم يُسمِعه أحد أو يعلمه من قبل الحكمة القديمة التي تقول «اعرف نفسك بنفسك» وعلى الرغم من أني متأكد من أنه سمعها من قبل، إلا أنني متأكد بالقدر نفسه، بأنه كان يقول كما الآخرون «أنا أعرف نفسي جيداً» والحقيقة تقول إن أغلب الضحايا كانوا لا يعرفون أنفسهم، من منهم

حاول أن يدخل إلى أعماقه ويضع قدراته في ميزان؟ من منهم حاول قياس الزمن الخارجي مع زمنه الداخلي؟ إن كل الناس قادرون على اكتشاف الحقيقة، شريطة أن يستخدموا عقولهم وحواسهم، عليهم أن يركزوا تفكيرهم في حيز الحقيقة التي يريدون معرفتها، وألا يذهبوا إلى حيز آخر يشتت أفكارهم، مثل السعي وراء معرفة المصير، لا وراء تحسين صورة المصير. **(يحاول أن يتكلم بهمس مرة أخرى)** ولكن رصاصات العقول العفنة تبحث عن ذلك النوع النيِّر من العقول بشكل خاص، لتستقر داخله، **(يعود ويتكلم بصوت عال)**، ولكن مالعمل؟ **(تطفأ الإنارة)**

المشهد الثالث

(تضاء بقعة ضوء كبيرة بعض الشيء على السرير، يظهر عزيز ووفية وهما مستلقيان، ثم يحاولان النهوض بطريقة أشبه بالحلم، يظهر هذا من خلال نظرات الاندهاش التي تبديها وفية، والابتسامات الخجلى الحانية التي توحي بالشعور بالذنب على ملامح عزيز، أنغام العود مستمرة، حيث تتعالى مع بداية المشهد، ثم تبدأ وفية بالغناء قبل أن ينهض الاثنان من على السرير)

وفية - خايفة ... تنساني حبيبي (تبدأ وفية بمراقصة عزيز، بطريقة أشبه بالطيران مع حركات دوران بين الاثنين، يجوبان أرضية المسرح وبقعة الضوء تلاحقهما. وفية مستمرة بالغناء، وعزيز يظهر متعة الاستماع إلى صوتها الذي افتقده سنوات طوال)

يا حبيبي خايفة
يمحيني البعد من بالك
وتمحيني المسافة

وفية - (ينخفض صوت العود تدريجياً) ها أنت تفي بوعدك، أعرفك جيداً، حبيبي الذي لا يخلف الوعد، قلتَ لي إنك ستظهر لي حين أغنيك هذه الأغنية حتى لو كنت كومة عظام (تستمر بالغناء وهي تراقص زوجها)

خايفة يتشرد الغيم .. وأتشرد وحيدة

خايفة تجي الفرحة .. تلكّاني بعيدة
لون السما يحزن .. وشمعاتنا يطفن
وتذبل فرحة العيد .. وتضيع القصيدة
وتضيع القصيدة
خايفة

عزيز - **(تتوقف وفية عن الغناء، ويستمر صوت العود بالعزف، ثم ينخفض تدريجياً حتى يتوقف)** الله كم اشتقت إلى سماع صوتك الجميل هذا، كان صوتك يرن في أذنيَّ طيلة السنوات الماضية، كان زادي وقوتي، كان صبري على تلك الأيام التي لم أرَ فيها الشمس، الله يا وفية لو تعلمين هول ما رأيت، وفظاعة ما حل بي!

وفية - **(تضع أصابعها على فم عزيز بحنان)** أرجوك، قل لي قبل كل شيء، لماذا أخذك الكلاب، وبأي تهمة؟

عزيز - هذا السؤال لازمني ولم يفارق شفتي ثلاث سنوات، كنت في كل لحظة أسألهم، لماذا أنا هنا؟، ماهي تهمتي، لماذا لا تحاكموننني؟، ثلاث سنين وأنتم تضربونني كالكلب، أليس من حقي أن أعرف الذنب الذي اقترفته؟، كانوا يردون على أسئلتي تلك بجواب واحد، لا تتغاب، أنت تعرف جيداً لماذا أنت هنا. وفي كل ليلة وأنا أئنُ من آلام الجروح والكدمات، حرقة الجوع والعطش التي قررت التعايش معها، وفي هذياني وغيبوبتي، أحاول أن استرجع شريط حياتي، يوماً بيوم، ساعةً بساعة، ولكني في كل مرة أجد نفسي عاجزاً عن أن

أتذكر بأني اقترفتُ فعلةً واحدةً تعكر مزاج أي مخلوق، لم أنتمِ إلى أي حزب أو منظمة أو تجمع طلابي، لم أناقش أي إنسان في موضوع خارج نطاق الرسم والألوان والفن التشكيلي، حتى اللوحات التي كنت أرسمها كانت لوحات تعبر عن الطبيعة، الأرض والبساتين والشوارع والأنهار والوجوه البشرية والحيوانات. حتى اكتشفت في إحدى الليالي وأنا أتذوق طعم الدم بين أسناني، أنني اخترت الرسم منذ طفولتي لأنني كنت طفلاً منطوياً، أميل إلى العزلة، أتحدث مع نفسي، ثم تحدثني الأشكال التي كنت أرسمها، كنت أتخذ منها أصدقاء وصديقات، أحببتهم جميعاً، وفي كل مرة أعيد رسمهم بشكل أجمل وبحب أكبر، وهذا، وحسب ما اكتشفته من خلال التفكير المستمر فيما مضى من حياتي والوضوح الذي بات يتسع يوماً بعد يوم، أقصد ليلة دموية بعد ليلة دموية أخرى داخل الزنزانة، هو ما جعلني ماهراً ومتمكناً من فن الرسم، وهو الذي منحني أسلوباً خاصاً ونظرةً خاصةً.

وفية - وبعد ذلك هل عرفت السبب؟، فليس من المعقول أن تبقى عشرين سنة دون معرفة السبب الذي قادك إلى حضيرة الكلاب؟

عزيز - أتذكر جيداً في صباح يومٍ بغيضٍ، أتى أحد السجانيين بشاربه الكث وكرشه المتدلي فوق رمز ذكورته الزائفة، وفي يده مجموعة أوراق. وقف عند الباب ونادى باسمي، أجبته

بنعم وأنا طريح الفراش بسبب حفلة أمس.

وفية - حفلة، كيف هذا، حفلة في داخل السجن؟

عزيز - الحفلة يا وردتي التي عاقبتني الحياة على فعلة اقتطافها لتمنعني التمتع بالنظر إليها سنوات طوال، هي حلقة التعذيب اليومي الذي كنا نخضع لها باستمرار، وكان في الليل نصيبي منها دائماً، لذا كنا نسميها الحفلة، وأحياناً نسميها حمام ما قبل النوم، لا عليك، عندما ناداني ذلك السجان البغيض كنت طريح الفراش، أو طريح البطانية التي كنت اتخذها فراشاً، عندها صاح بي صيحةً زلزلت جدران الزنزانة. «قف أيها الكلب قبل أن ترد عليَّ، قف على قدميك يا ابن الحرام وأقترب هنا، اليوم سوف تعرف مصيرك المحتوم، مصير كل الخونة أولاد الزنى». عندها انتفض جسدي ووقفت على أقدامي، ولا أدري كيف تلاشت كل تلك الآلام وتوقفت الأنات وغاب عن جسدي الوهن، قلت له وأنا أقف وقفة الجندي الهمام، «حاضر سيدي»، دسست قدمي في نعلين إسفنجيين وذهبت معه، حينها أمسك برقبتي كالخروف، وأوشك أن يكسرها لولا أن إشارة خفية أوحت لي أن أرفع رأسي إلى الأعلى قليلاً كي تنحسر المسافة التي تسيطر عليها أصابعه. سار بي قاطعاً عدة ممرات ضيقة تتراصف على جانبيها أبواب حديدية، حاولت النظر إلى الأبواب علني أرى بشراً خلفها، ولكني لم أفلح، فلقد شلّت رقبتي من قبضته المحكمة، عندها فهمت سبب تلك القبضة اللعينة، وبعد أن اجتزنا

الممر الأخير استدار بي جهة اليسار لأواجه سلماً حديدياً ارتقيناه معاً، وبعد عدة أمتار وصلنا إلى غرفة موصدة، وقف السجان ووقفت بجانبه، عندها أفلت رقبتي من قبضته، أحسست بالدماء تتدفق بسرعة إلى رأسي فأصابني الدوار وكدت أقع، ولكن الراحة البسيطة التي اعترتني شجعتني على التماسك، عندها أخرج كومة المفاتيح من جيبه لينتقي واحداً منها، فتح الباب ومسكني من قميصي ليشدني في لمح البصر فأصبح أمامه، وضع كفه في ظهري ودفعني بشدة جنونية ألقتني على الأرض بعد بضع خطوات راكضة. (تطفأ الإنارة على عزيز وزوجته، بينما يستمر عزيز في الكلام حتى بداية المشهد التالي)، حاولت النظر، لم أستطع أن أرى أي شيء، كان الظلام حالكاً، ورائحة المكان نتنة إلى حد الرغبة بالتقيؤ، وحين وقفت اصطدم رأسي بشيء تبينت فيما بعد أنه كرسي، حاولت الجلوس عليه بعد أن تأكدت من مقعده، وحين جلست أنير فوق رأسي مصباح خافت.

المشهد الرابع

(تنار إضاءة خفيفة فوق عزيز، يظهر في قميص متسخ ببقع دماء جافة وهو جالس على كرسي في الجهة اليمنى القريبة بعض الشيء من وسط المسرح، يأتي بعد ذلك صوت من خلف الكواليس، هو صوت ضابط التحقيق)

الضابط - أنتَ عزيز؟

عزيز - نعم سيدي

الضابط - رسام؟ .. يعني ترسم لوحات؟

عزيز - نعم سيدي

الضابط - أنت مدرس في ثانوية النضال؟

عزيز - نعم سيدي

الضابط - تعرف لماذا أنت هنا؟

عزيز - أقسم بالله العظيم وبشرفي لا أعرف، وقد سألت كثيراً عن السبب، ولكن لا جواب

الضابط - دع الشرف جانباً، فلو كنت تمتلك الشرف لما كنت هنا، وتذكّر!.. لا تتكلم كثيراً، وعليك الإجابة على قدر السؤال.

عزيز - أمرك سيدي!

الضابط - أنت متهم بالتفكير بقلب نظام الحكم وتحريض الطلبة على المشاركة بما كنت تفكر فيه، فما هو ردك؟

عزيز - (في ذهول) قلب نظام الحكم؟... أنا؟... أحرض التلاميذ؟

.... سيدي، الله يمد بعمرك، أرجوك أن تتأكد من الاسم الذي توجه إليه هذه التهمة، فبالتأكيد هناك خطأ.

الضابط - سألتك عن اسمك وعنوانك وعملك وأجبت بالإيجاب، فلا تتغابَ أكثر. من أنت حتى تفكر بتغيير الحكم، أنت مجرد كلب أجرب، حشرة، لاشيء، أستطيع أن أزهق روحك بحذائي هذا. (بصوت عال) أجب! كيف راودتك الفكرة؟

عزيز - أية فكرة سيدي؟، إن ما تقوله غريب ولم يخطر لي ببال، كيف أفكر بتغيير النظام وكل الشعب يهتف لقائده ويتمنى له العمر المديد، من أين تأتيني الفكرة وأنا أرى كل يوم الحرس والجيش والشرطة يحملون صوره على صدورهم؟، أرجوك سيدي، ارحمني، فأنا أوشك على الموت رعباً منذ أن سمعت الاتهام، فكيف أفكر فيه؟

الضابط - تأكد بأنك ستموت، ولكن قبل أن يتم هذا عليك الاعتراف بكل شيء. أنت متهم بالتفكير في قلب كرسي الحكم، وهذه تهمة تعرف جيداً عقوبتها، ولا أظنك ستفلت منها.

عزيز - طيب سيدي سوف أعترف لكم بك شيء، أقصد كما ترغبون، ولكن كيف اكتشفتم بانني أفكر بهذا الأمر؟ على الرغم من أني متأكد بأن تلك الفكرة لم ولن تخطر في بالي، فهل دخل أحد في عقلي واكتشفها؟

الضابط - يا حيوان، هل تعتقد بأننا أغبياء أو نائمون حتى نجعلكم تفكرون كما تشاؤون؟. بماذا تفسر تصرفك حين نصبت مشنقة في وسط قاعة الرسم وأمام الطلاب وعلّقت فيها

الكرسي، ثم طلبت من الطلبة أن يرسموه، أجب!.

وفية - **(يأتي صوتها من وسط الظلام، بينما تظهر على عزيز علامات الذهول وكأنه لم يسمع صوت وفية)** فعلها ابن الزانية، كنت أعرف أنه من دبر لك هذه المكيدة، فعلها ابن الزنى.

عزيز - سيدي كان هذا درساً في الرسم، أتذكر حينها قال لي أحد التلاميذ بأنه سأم من رسم الطبيعة الصامتة، فالأشكال المعتادة كانت مملة على حد قوله، وقال أيضاً، لماذا أرسم هذا الكرسي كما أراه أو كما يراه الآخرون؟. عندها خطرت لي فكرة أن نرسم كرسي مقذوف في الفراغ، فرحت إلى فكرة تعليقه بحبل كي يظهر بشكل مختلف عن المعتاد وكي أرضي الطالب الذي كنت أتوقع له مستقبلاً فنياً مهماً.

الضابط - إذن فأنت تعترف بأنك من قام بشنق الكرسي، وهذا اعتراف صريح بجريمة التحريض، انتهى التحقيق. **(تطفأ الإنارة المسلطة على عزيز وفي الوقت نفسه تضاء على المكان الذي تتواجد فيه وفية)**

وفية - **(واضعة رأسها بين كفيها)** فعلها ابن الزانية، فعلها إبن «حَـدوة»، كنت طوال الوقت أشك فيه، كانت كلماته وتلميحاته واضحة، وكنت أتذكر دائما ما قلته لي في ذلك اليوم، أتذكر؟ كنا جالسين في فناء الدار تحت شجرة التوت، حينها قلت لي بأن حامد ابن حدوة مدرس مادة الجغرافية دخل عليكم فجأة ورأى الكرسي معلقاً بالحبل،

حينها طلب منك بضع دقائق ليكلمك خارج القاعة، أتذكر؟ **(تضاء بقعة ضوء فوق عزيز وهو في وضع جلوس على الكرسي الآخر بجانب الطاولة، ويبدأ بالكلام بعد أن يأخذ كفي وفية بين يديه)**

عزيز - أتذكر جيداً، حينها قال لي وهو مصفر الوجه، خائف، «ماذا تفعل أيها المجنون، أتشنق الكرسي أمام الطلبة، ألم تعرف بأن الكرسي يمثل كرسي الحاكم؟» حينها ضحكت منه بسخرية عالية،قلت له بأنه مجرد درس للرسم، فلا تذهب بعيداً بتفكيرك القذر. **(تنار الإضاءة على الطفل فيظهر جالساً فوق المنضدة الدائرية الصغيرة، بينما تبقى الإنارة مضاءة على عزيز ووفية، ويظهران غارقين في حديثهما ولكن دون صوت يسمع).**

صوت الطفل - لو كان عزيز الطيب هذا قد سبق له وآمن بأن هناك أناساً أشراراً، ولا يعرفون سوى الشر، لربما .. وأقول ربما، قد استطاع أن يحمي نفسه من ذلك الشرير، ذلك الذي لم يعتنِ به أو يربيه أحد، على الرغم من أنه قد عرف آلاف الرجال الذين كانوا يدخلون بيت أمه، كان يعرف بأنه هو وعائلته ينتمون إلى أرذل شريحة اجتماعية، لذا، فلقد لبسه الحقد على كل شريف. لو أن أحداً علّمَ عزيزاً من قبل كيف يلتقط إشارة الخبث والحقد من بين عيون الناس الذين مروا بحياته، لربما ... أقول ربما، استطاع أن يحسن من مصيره. **(تطفأ الإنارة على الطفل).**

وفية - ولكني حذرتك منه مراراً، وكم مرة أخبرتك بأن نظراته لي كانت ترعبني، أتذكر؟ كان كلما يزورنا في الكلية، يسأل عني أولاً قبل أن يسأل عنك، لقد حذرتك منه مراراً، كان يلمّح لي بأن حبي لك لا جدوى منه، كان يقول بصريح العبارة، بأنه سيقطع كل يد تمتد لتنال من وردته الجميلة، ألم تدرك بأن وردته تلك كانت أنا وليست واحدةً غيري؟

عزيز - ولكنكِ لم تقولي لي ذلك من قبل، منذ متى وأنت تعرفين ذلك؟

وفية - كنت أقولها لك باستمرار، ولكن طيبتك المفرطة كانت تصم أذنيك وتشل عقلك عن التفكير بكل شيء سيء، وبعد أن أخذك الكلاب، تأكدت من قذارة ابن حدوة منذ ذلك اليوم الذي طرق فيه الكلاب بابنا بوحشية أرعبت حتى الجدران **(إضاءة على الطاولة الصغيرة المستديرة وسط المسرح، حيث يظهر الطفل جالساً فوقها).**

صوت الطفل - في ذلك اليوم كنت في أحشاء تلك المرأة، داخل رحمها، بعد أن دخلته من قبل، قبل أن يُطرَق الباب بأسبوعين، عندها أرعبتني الأصوات والجلبة ونباح الكلاب، فحولني الرعب إلى قطرات دم خرجتُ من خلالها إلى عالم الترقب والانتظار مرة أخرى، عسى أن أجد فرصةً أخرى وأدخل رحم تلك المرأة ثانية، أو أي رحم أجد فيه قناعة تغريني وتشدني إليه. ولكن كم أتمنى أن يسأل المرء نفسه قبل التفكير بالإنجاب والانصياع لغريزة الأمومة أوالأبوة، هل أنا حقاً قادر على تأمين مناخ صحيح لطفلي القادم؟ هل هذا العالم جدير

باحتضان طفلي الموعود؟، هل .. لا، هذا يكفي (**تطفأ الأنوار المسلطة على الطفل**).

وفية - (**وهي تكمل كلامها السابق**) وبعد أن أخذوك، وبعد أن صرخت وبكيت ولطمت، أحسست بحرارة سائل ينساب بين فخذي وعلى ساقيَّ، وحين تبينت الأمر، وجدت ساقيَّ سابحتين بالدم، لقد أجهضني الكلاب، هل تعرف هذا؟ كنت أحمل شقيق الورد داخل أحشائي وأنا لا أدري.

عزيز - شقيق الورد، أما زلتِ تذكرين؟ آه يا حبيبتي، كان حلماً جميلاً.

وفية - حينها أخذتني عمتي وغسلت دمائي، وسقتني سائلاً ساخناً وهي تذرف الدموع من دون أن تنطق بحرف واحد. في اليوم نفسه وبعد ساعات قليلة أتى ابن حدوة وهو يسأل عمّا جرى، وقال إنه سمع من الناس أن شرطة بملابس مدنية قد دخلوا الدار وأخذوا عزيزاً معهم، حين ذاك طلب منا ألا نقلق، فهو يعرف كل رجال الشرطة وضباطهم، ثم عاد إلينا في اليوم التالي وأخبرنا بأنه كلف أحد أصدقائه الضباط للبحث في موضوعك، وأصبح يتردد علينا كل يوم، وهو ينظر إليَّ نظراته الحقيرة المعتادة، وفي أحد الأيام زارني في مكان عملي.

عزيز - في مدرسة البنات؟

وفية - لا يا حبيبي في المستشفى، فبعد فترة من غيابك صدر لي أمر وزاري بنقلي إلى وزارة الصحة، وتم تعييني قاطعة تذاكر في المستشفى، تصور تحولت من مدرّسة موسيقى خريجة

أكاديمية حاملة لشهادة البكلوريوس، إلى وظيفة يستطيع أي شخص لم يكمل الابتدائية القيام بها. زارني حامد في المستشفى وطلب أن يحدثني في أمر هام وعلى انفراد، ذهبت معه إلى ركن من أركان المستشفى وحينها أخبرني بأنه عرف مكان وجودك، ويريد مني ألا أخبر أحداً عن ذلك حتى عمتي، واتفقنا على أن يلتقيني في اليوم التالي في أحد المطاعم. في بداية الأمر رفضت وقلت له، هل عزيز مسجون في مطعم، ضحك وكشر عن أنيابه وقال لا، ففي المطعم سوف نلتقي الضابط الذي سيأخذنا إلى مكانك.

عزيز - الحقير الذليل، بالتأكيد كان يكذب عليك؟

وفية - (تضحك) ها.. يبدو أن السجن قد علمك الكثير؟. قابلته في اليوم التالي ودخلنا المطعم ننتظر الشخص الذي قال عنه، كان المطعم فخماً جداً، حينها طلب لنا العصير، ثم الأكل وفيما بعد الشاي ، وراح يحدثني عن جمالي وموهبتي الموسيقية، وكم أنه معجب بي وبأخلاقي، وقال لي حينها، لو لم تكوني متزوجة من أعز أصدقائي لتقدمت لخطبتك الآن. تصور، يقول عليك أعز أصدقائه؟. حينها أرعبتني كلماته وذاك المكر المخيف الذي كان يسكن عينيه، وكنت كل دقيقة أنظر إلى ساعتي، وأسأل عن الشخص الذي يجب أن نلتقيه، وحين تأخر الوقت وقررت العودة إلى البيت .. انتابته نوبة من الارتباك وطلب مني الجلوس بضع دقائق لأنه يريد أن يقول لي شيئاً مهماً.

عزيز - آه ياحبيبتي، أرجوكِ توقفي عن الكلام، أرى الحزن والمرارة مرسومين على وجهكِ وفي عينيكِ، أرجوكِ توقفي عن الكلام وأن تنسي الماضي، عليك أن تفكري بالمستقبل.

وفية - كيف تقول هذا وأنت الضحية، ضحية دسائس الأنذال ومعدومي الضمير، لقد سرقوا الزمن من بين سنوات عمرك، غيبوك سنوات طويلة لتعود لا حول لك ولا قوة.

عزيز - لم أكن وحدي كان هناك الآلاف، صحيح أنا الضحية بشكلها المباشر، ولكنكِ أنتِ أيضاً، وأمي، وشقيق الورد، وغيرنا، كلنا ضحايا.

وفية - دعني أكمل إذاً، فأنا وأنت وعمتي وشقيق الورد ضحايا ابن الزانية، ضحايا الذئب الغارق بدم الأبرياء ذاك الذي استدرجني إلى المطعم، هل تعرف ماذا قال لي حينها؟، هل تعرف ماذا قال بعد أن وجدني مصرّة على الذهاب وتركه وحيداً مع شهوته الحيوانية؟، قال بأنه عرف مكانك وتأكد من ألا أمل من خروجك من بين أيدي الكلاب، وعليَّ أن أعيش حياتي وأنساك، وهو على استعداد تام لطلاقي منك غيابياً، ثم يتزوجني بعدها، وختم قوله بعبارته التي طالما كررها أمامي وأمامك، ولكن تلك المرة بشكل مختلف قليلاً، قال، لقد قطعت اليد التي امتدت لتقطف زهرتي.

عزيز - لقد قتلني ابن الزانية، لقد سرق مني فرحتي وأحلامي لأنه لم يفلح في الفوز بك عروساً له، يا إلهي! أحقاً أنكَ من خلق تلك المخلوقات المفترسة وأنزلها بشكلها الآدمي إلى الأرض؟

مخلوقات لا تمتلك الضمير والرأفة، ترى لماذا؟، لماذا أقتل وأحرم من وجه أمي وحبيبتي بسبب وشاية عارية من الحقيقة؟

وفية - هل قتلوك فعلاً؟ عزيز أرجوك قل لي، هل قتلوك فعلاً، ولكنك أمامي، تحدثني، وهاأنذا ممسكة بيديك، بأصابعك التي أحس بدمائها تجري بين أصابعي؟

عزيز - نعم يا حبيبتي لقد قتلوني بعد أن أمضيت ثلاث سنوات بعد التحقيق الوحيد الذي أجراه معي ذلك الضابط الذي لم أرَ وجهه، حينها مرضت وسيطرت الحمى على بدني، فدخلت في غيبوبة لم أفق منها إلا وأنا تحت يدي الطبيب، طبيب السجن، حينها قال لي بأنني أشكو من التهاب الزائدة الدودية، وعليه يجب أن أخضع إلى عملية جراحية، وأخبرني بأنه سوف يبعث لي بورقة من أجل أن أوقعها كموافقة مني لإجراء العملية.

وفية - وهل كان السبب فعلاً التهاب الزائدة؟

عزيز - عندما عدت إلى الزنزانة، أخبرت من كانوا معي رداً على أسئلتهم بما جرى مع الطبيب، وكان من ضمن الموجودين في الزنزانة طبيب اسمه كريم، دكتور كريم الذي كان يضع على جبيني كمادات الماء البارد لتخفيف حرارتي، عندها طلب مني أن يجري لي فحصاً بسيطاً للزائدة، وحين أجرى الفحص أخبرني بأنني لا أشكو من إلتهاب الزائدة، ولكنه قال لي في الوقت نفسه كلمةً مخيفة، قال، يبدو أن أجلك

قد دنى، فلقد كشف عليك طبيب السجن ليتأكد من سلامة أعضائك الداخلية، يبدو أن هناك طلبية مستعجلة يجب تأمينها. وطلب مني عدم توقيع الورقة لأنني بذلك سوف أعطيهم الحق في انتزاع كليتي أو عينيّ أو أي شيء آخر من أحشائي.

وفية - يعني حكموا عليك بالإعدام، ولكن بطريقة أخرى، طريقة المتاجرة بالأعضاء البشرية؟

عزيز - وبالفعل رفضت توقيع الورقة التي أتى بها العريف عبد، ولكنه رغم ذلك ركلني عدة ركلات واقتادني إلى غرفة الطبيب، وهناك وجدتهم وقد هيأوا غرفة العمليات، لقد كانت ملابسهم وهيأتهم توحي بذلك، قلت لهم بأني أرفض إجراء العملية، فقال لي الطبيب بأنه لن يجري العملية ما دمت غير موافق، ولكن عليَّ أن أطيعه في أن يزرقني أبرة مضادة للالتهابات. مددت ذراعي له وزرق محتوى الأبرة فيها، عندها أغمضت عيني ولم أعد قادراً على الحركة، ولكني كنت أسمع حديثهم، أخذوني إلى غرفة العمليات وألقوا بي على السرير، وبدأوا يتناقشون. (تطفأ الأنوار المسلطة على وفية وعزيز)،

المشهد الخامس

(إضاءة على الطاولة الصغيرة المستديرة ويظهر الطفل جالساً عليها وبين يديه جمجمة يداعبها كما يداعب الكبير شعر طفله، وفي هذه الأثناء تصدر أصوات من خلف الكواليس توحي إلى الحوار الذي كانت يدور في غرفة العمليات، مع أصوات أدوات التشريح المعدنية).

الأول - هل نبدأ بالقلب

الثاني - كلا، علينا أن ندع القلب ينبض حتى نضمن حيوية الأجزاء الأخرى.

الأول - فلنبدأ بالكلية إذاً.

الثاني - هذه مهمتي دعني أفتح من هنا، آه، دمه غزير،

الأول - طبعاً فلقد أوصينا لهم بطعام جيد حتى نضمن سلامة الأعضاء

الثاني - لا تتكلم كثيراً اقترب بالحاوية كي أضع فيها الكلية الأولى، سوف أقصها الآن، هل أنت جاهز

الأول - نعم دكتور، أقصد نعم سيدي، ها هي الحاوية

الثاني - خذ، هذه الأولى وانتظر الثانية

الأول - يبدو أن الكبد سليماً معافا، ما رأيك دكتور، أقصد رفيق، عفواً أقصد سيدي.

الثاني - الكلية الثانية.

الأول - الكبد

الثاني - الحالب الأيمن

الأول - الحالب الأيسر

الثاني - ها قد وصل طبيب جراحة العيون ومساعده

الأول - أهلاً بكما، لم التأخير؟ باشرا العمل فوراً

الثاني - هل أباشر بالقلب دكتور

الأول - نعم رفيق، لم يبق سواه، أرجو أن تعجل ولا تنسَ الدقة،

الثاني - أعرف جيداً بأنك جائع فعلينا أن نذهب لتناول الطعام بعد نصف ساعة

الأول - اسمع يا عزيز أرجوك أن تسامحنا فنحن نفعل ذلك لمصلحتك، أعضاؤك سوف تنفع أشخاصاً كثيرين هم بحاجة إليها، وأنك ستموت لا محالة، لذا قررنا الاستفادة منك بأكبر قدر ممكن.

الثاني - لماذا تعتذر منه، هل تعتقد بأنه يسمعك

الأول - هذا واجبي وشرف مهنتي، علي أن أقول له ذلك، هل نسيت؟

صوت (يأتي صوته من خلف الكواليس) إن الإنسان مقياس لكل

الطفل - شيء .. الخير والشر .. السعادة والتعاسة. ومن يعرف الخير يعمل به، ومن يعرف العدل يعمل به، لذا علينا أن نتعلم كيف نعرف الخير والعدل، و نتعلم معرفة المحبة واحترام الروح البشرية كي نعمل بها. مسكين أبي، أقصد من كان سيكون

أبي، لقد سلبوه أحشاءه، وعينيه، لقد باعوه وهو على قيد الحياة. فأولئك الأطباء الأشرار يعرفون الخير ولا يعملون به، ومثل هؤلاء يشكل الخطر الأكبر على الحياة البشرية وقوانينها الإنسانية (تطفأ الأضواء المسلطة على الطفل).

المشهد السادس

(إضاءة على طاولة الكتابة حيث عزيز ووفية وهما على جلستهم السابقة).

وفية - أكيد أنك كنت تحلم، فهذه ليست الحقيقة، كيف أخذوا منك كل هذا وأنت جالس أمامي وتحدثني؟ **(تظهر على عزيز إشارات أسف وخجل، ويبقى واجماً لا يحرك ساكناً وهو مطأطأ الرأس)** أليس هذا صحيحاً؟، لقد كنت تحلم، أو ربما هو كابوس رأيته في منامك، رحت تقصه عليَّ الآن، هل تعرف يا حبيبي **(تحاول وفية أن ترفع رأس عزيز كي ينظر إليها، مستخدمة أصابعها تحت ذقنه برفق وحنان مفرط)** طوال فترة غيابك، وفي كل ليلة تقريباً، أغني لك الأغنية التي طالما أحببتها وغفوت على كلماتها، تصور حتى عمتي، والدتك، كانت تطلب مني أن أغنيها عندما تريد النوم، وكأن روحك هي التي كانت تغني.

عزيز - آه أمي كيف هي الآن، ماذا فعلت المسكينة في غيابي، أين هي الآن؟ أريد أن أراها!.

وفية - إنها في غرفتها، نائمة، كانت تنادي عليّ طوال الوقت وتقول بأنها تشم رائحتك في أرجاء البيت. المسكينة ظلت تبكيك حتى أطفأت حرقة الدموع بصرها، إنها لا ترى منذ عشر سنوات، في السنوات الأولى كانت تطوف معي مراكز

الشرطة والدوائر الرسمية والشوارع والأزقة للبحث عنك، وفي كل مرة نرجع فيها خائبتين، تجلس في غرفتها وتبكي وتنذر النذور لعودتك، حتى أصبحت النذور بعدد نجوم السماء، مسكينة عمتي لم تفتها مناسبة أو ذكرى إلا وهي تنطق باسمك وتدعو لعودتك وتنذر النذور، حتى أن صيامها أصبح في أكثر أيام السنة، وأصبحت توفي النذور قبل تحقيق الأمنية، كانت تقول بأنها أصبحت مؤمنة بأن عدم إيفاء النذور حتى يتحقق الطلب، هو تهديد مباشر إلى الله، الله الذي طالما طلبت منه عودتك.

عزيز - ولكن أمي لم تكن تفعل هذا من قبل، لم أعرفها تؤمن بالنذور طيلة فترة حياتي معها، مَنْ أدخل برأسها تلك الأفكار، وكيف أصبحت أسيرة لها كل هذا الزمن الطويل؟

وفية - اليأس والمرارة والإحباط، سيل الجثث الذي لم ينقطع طيلة فترة الحرب، أخبار الموت، والأزقة التي أصبحت حافلةً بمشهد المآتم، مكبرات الصوت فوق الجوامع والمساجد والحسينيات وهي تعلن باستمرار خبر الموت، الشارع الذي ما عاد يعرف من الألوان سوى لونين اثنين فقط، هما الأسود والكاكي، كل ذلك وغيره الكثير، ألا تعتقد بأنه كان كافياً لتحويل أكبر العقول إلى مجرد ظلال عقل؟ هل تعرف بأننا، اقصد أنا وعمتي، لم ننم في بيتنا يوم الخميس، أقصد ليلة الجمعة منذ سنوات طوال؟

عزيز - أين كنتما تذهبان، ولماذا ليلة الجمعة بالذات؟

وفية - كنا في كل مرة نختار ضريح أحد الأولياء الصالحين، نذهب إلى هناك حاملتين معنا متاعنا وشمعة الكافور وطاسة الحنة بعد أن يئسنا من زيارة مراكز الشرطة والمديريات والمؤسسات الحكومية. نجلس عند باب المرقد ونشعل الشمعة ونحني المدخل ونحن نذرف الدموع ونتذرع إلى الله تعالى أن نسمع عنك خبراً أو نستلم منك رسالة أو أي شيء آخر، حتى أننا في السنوات القليلة الماضية كنا نريد وصولك إلينا حتى لو كنت ميتاً كي ندفنك ويصبح لك قبر نزوره، ونتخلص من العذاب الذي جعل كل الألوان سوداً في حياتنا.

عزيز - أمي.. آه أمي.. أيتها الحبيبة المسكينة، أريد أن أراها، ولكن لا أدري ماذا حل بي. إن أقدامي لا تتحرك، أنا لا أشعر بقدمي، أريد أن أذهب إليها، هل هي في غرفتها؟

وفية - نعم حبيبي، لا عليك، أنها أكيد نائمة الآن، سوف أذهب للاطمئنان عليها وأعود إليك **(تترك وفية زوجها وتدخل في الظلام باتجاه اليمين من المسرح وهي تدندن بأحد مقاطع الأغنية، ويبقى عزيز جالساً على كرسيه وهو محدق بنظرة جامدة إلى الأمام. بعد عدة ثوان من دخول وفية في الظلام تخرج منها صرخة وهي خلف الكواليس).**

وفية - **(تصرخ بجزع، صرخة الإعلان عن موت عمتها) عمة (يطأطئ عزيز رأسه ويبقى على وضعه دون أدنى حركة)** عمة، لا! أرجوك ليس الآن! لقد عاد عزيز، لماذا تفارقيننا الآن، ألم تعاهديني بأنك لن تخضعي للموت حتى تشمي عنق

عزيز وتقبلي وجنتيه؟ لماذا .. لماذا الآن؟ (تعود وفية لتدخل دائرة الضوء المسلطة على عزيز داخل المسرح، فتجده منكّس الرأس واضعاً كفيه على حافة الطاولة، تحاول وفية مسح دموعها، ثم تأخذ كفي عزيز بين كفيها).

وفية - ها حبيبي، إنها نائمة، ألم أقل لك ذلك؟ عمتي نائمة بشكل جميل، صدقني لم أرها غارقةً في النوم من قبل كما هي اليوم، يبدو أنها قد شمت رائحتك بالفعل، لذلك نامت وهي مطمئنة عليك، لماذا أنت منكّس الرأس هكذا، هل سمعت شيئاً أزعجك؟ أرجوك أن تجيبني، عزيز، هل تسمعني؟ عزيز أرجوك (تطفأ الإنارة المسلطة على عزيز وتبقى إنارة محددة جداً مسلطة على وفية وهي مستمرة في توسلاتها بزوجها وهي ممسكة بكفيه، على الرغم من أن كفيها داخلان في الظلام المحيط بها) أرجوك حبيبي أجبني، لماذا أنت زعلان؟، تريدني أن أغني لك، أجبني! (تبدأ وفية بالغناء)

خايفة ... تنساني حبيبي
يا حبيبي خايفة
يمحيني البعد من بالك
وتمحيني المسافة

ها حبيبي، هل تريد أن أستمر بالغناء؟ (تنار الإضاءة في أرجاء المسرح كافة، فتظهر وفية وحدها، وكفاها مطبقتان، تندهش للمفاجأة، وكأنها قد استيقظت من حلم) عزيز .. أين أنت .. يا عزيز؟ (تفتح كفيها فتتساقط عظام كفي

عزيز على الطاولة محدثة صوتاً) ما هذا، أين عزيز، هل كنت أحلم؟، لا لم أكن أحلم لقد كان حقيقة، نعم حقيقة، عزيز حقيقة، بل هو الحقيقة بعينها، ومقتله هو الخرافة (تلملم العظام التي سقطت من كفيها وتتجه صوب المنضدة الدائرية الصغيرة وسط المسرح فتضع العظام عليها، ثم تتجه إلى السرير حيث بقية العظام، فتبدأ بلملمة العظام ونقلها إلى الطاولة الصغيرة لتشكل في النهاية وضعية توحي إلى تمثال أو نصب صغير تكون الجمجمة فيه مستقرة على كومة العظام الأخرى ، تفعل وفية كل هذا وهي مستمرة في كلامها الذي يوحي بحالة الهستيريا التي انتابتها نتيجة يقظتها من الحلم الذي كان يتلبسها طيلة السنوات الماضية، فلقد عاد لها رشدها الآن وتيقنت بأن زوجها قد قتل، وتيقنت أيضاً بأنها لن تقوم بالأعمال التي كانت تقوم بها سابقاً لفترة طويلة) مقتل عزيز خرافة، كذبة، لاتنطلي عليَّ، فكيف يقتل الإنسان الطيب، ولماذا يقتل؟ لماذا يقتل الطيبون ويبقى المجرمون القتلة يتمتعون بالحياة، هل خلقت الحياة من أجل القتلة؟ هل خلق الطيبون من أجل أن يكونوا ضحايا؟ لماذا أصبح قانون الحياة البشرية كقانون الغاب، البقاء للأقوى؟، لا أعترض على هذا، ولكن لماذا لا تكون القوة هي قوة العقل والأخلاق والحب والنزاهة، لماذا يرضى الإنسان أن تكون قوته في كتلة حديدية صغيرة باردة، لا تحتوي إلا على رصاصات رخيصة، هل يرضى

الإنسان الذي خلق بأحسن تقويم بهذا، هل هو تافه إلى هذه الدرجة؟، لمْ يرضَ عزيز إلاّ أن يكون بشراً، كان بشراً تماماً كما خلقه وأراده الله، ما كان يعرف من هذا الحياة سوى الألوان والبساطة والحب، ما كان يصدق أن هناك وعلى هذه الأرض حيوانات مفترسة بشكل آدمي، كان يرفض الاقتناع بأن هناك الخبثاء والمجرمين والسراق والقتلة، كان يقول إن المجرم والسارق لم يختر لنفسه ذلك السلوك أو الطريق، فالظروف التي عاشها هي من أجبرته على سلوكه ذاك، ترى هل ما كان يؤمن به عزيز يعد من الجرائم كي يسجن ويقتل؟ لماذا يقتل القلب المترع بالحب؟، (**تنتهي وفية من ترتيب العظام لتأخذ شكلها المطلوب على الطاولة المستديرة الصغيرة، وتجلس في وضعية توحي إلى ذلك الانكسار الروحي الكبير الذي ألم بها، وتبدأ أضواء المسرح بالخفوت شيئاً فشيئاً حتى تنطفئ باستثناء بقعة ضوء مسلطة على وفية وكومة العظام المنتصبة على الطاولة الصغيرة**) لماذا يُقتل الحب، لماذا هناك مجرمون بيننا؟ (**يأخذ صوت وفية بالانخفاض رويداً رويداً، إيحاءً منها على الإنهيار**) عزيز أيها الحبيب المسكين، هل تسمعني، عزيز أيها القلب الطيب المحب للحياة، سوف أغنيك ما حييت، سوف أتخذ من عظامك عقداً حول رقبتي وأقراطاً وأساوراً وخواتم، سوف، سوف، سوف (**تضع وفية ذقنها على حافة الطاولة ليأخذ شكل وجهها وضعاً مشابهاً تماماً لوضع الجمجمة**) سوف

أغنيك ما حييت، سوف، سـ ..و..ف أ .. غـ .. نـ .. يـ (تسقط يدا وفية على الأرض، ويهبط جسدها قليلاً إلى الأسفل، إشارة إلى موتها، عند ذلك تنطلق الأغنية التي كانت تغنيها سابقاً، ولكن هذه المرة يأتي الصوت من خلف الكواليس ومن غير موسيقى، وبصوت وفية نفسها. يظهر الطفل ويقف بجانب وفية، ويقوم بمسح شعرها بكفه الصغير، وكأنه يدعوها إلى نوم عميق).

غناء - خايفة ... تنساني حبيبي

يا حبيبي خايفة

يمحيني البعد من بالك

وتمحيني المسافة

خايفة يتشرد الغيم .. وأتشرد وحيدة

خايفة تجي الفرحة .. تلكّاني بعيدة

لون السما يحزن .. وشمعاتنا يطفن

وتذبل فرحة العيد .. وتضيع القصيدة

❖ ❖ ❖

آه يا حبيبي إنت بيا مطر

ربيت الضفاير وأنتظرك عمر

لا تحزن حبيبي لا تتعب ولا تمل

لظلك أصيرن ظل ... وأنحل بعد أنحل

وترجع ليالي الهوى .. وتخلص ليالي الهجر

وترجع إليَّ ... وأرجع مزهرية

وترجع لي مطر

وترجع لي مطر

وترجع لي مطر

ستار

❖ **إشارة:** الأغنية من كلمات الشاعر رياض النعماني، قام بتلحينها الفنان والملحن العراقي الكبير كوكب حمزة، وحقوق الشاعر والملحن محفوظة لدى المؤلف. حسين السكاف.

❖ رابط أغنية «خايفة» بصوت الملحن العراقي الكبير كوكب حمزة:
https://www.youtube.com/watch?v=3uQDmIYV02Y

❖ رابط أغنية «خايفة» بصوت المطربة السورية هالة أرسلان:
https://www.youtube.com/watch?v=AY2OZlRXFv8

هموم السيد محترم

مسرحية من فصل واحد

حين نتمكن من إظهار طاقة الحب والعمل بها،
تكون قد منحنا الأرض فرصة للتخلص من
القلق الذي ينهشها منذ زمن.

الشخصيات:

ممثل 1 - الشخصية الرئيسة

ممثل 2 - لا يظهر للجمهور ويقوم بتجسيد جميع الشخصيات التي تظهر وراء الحاجز

* **إشارة** - المسرحية تعتمد اللغة العربية الفصحى واللهجة العراقية الشعبية المحكية محلياً، وجاءت الجمل وكلمات اللهجة الشعبية بحروف مائلة. يمكن تغيير هذه اللهجة إلى أي لهجة أخرى من لهجات الدول العربية مع ملاحظة الإحتفاظ بالمعنى والهدف المرجو منها.

المكان

غرفة شبيهة ببيت - بيت من غرفة واحدة - في وسط المسرح أريكة (صوفا) تستخدم للجلوس والنوم، وإلى يمينها ويسارها حاجزان (بارتشن) عبارة عن أطارين بارتفاع مترين يغلفهما قماش أسود شفاف (يستخدم بمساعدة الضوء لتجسيد بعض الشخصيات التي تظهر كخيالات بشرية). إلى يسار المسرح كرسي ومنضدة كتابة عليها بعض الكتب والأوراق والصحف. إلى يمين المسرح رفوف بسيطة توحي بتكوين مكتبة تحتوي على بعض الكتب.

المشهد الأول

قبل رفع الستار بثوان تنطلق أغنية (الأغنية خاصة جداً ممكن أن تكون بمصاحبة الموسيقى أو الاكتفاء بعزف على العود.. الأغنية بلحن أغنية «يا عاقد الحاجبين».. يا شابحَ المشكلين.. قتلتني مرتين.. اقتلني، اقتلني، اقتلني.. بيديك الاثنتين.. فبعدك لا أسوى.. في الدنيا درهمين) وتستمر الأغنية بعد رفع الستار ودخول الممثل الذي يبدأ بالتجوال ضجراً على خشبة المسرح، وفي حركة سريعة يضطجع على الأريكة ثم يقفز ثائراً وهو يصيح:

الممثل - ما هذا السخف؟ ما هذه الكلمات المغرقة بالإهانة.. *يعني بشرف كم أكو أغنية تنعاد بيها كلمة القتل خمسين مرة..* أليس كافياً ما نعانيه من إهانة وإذلال يومياً، إهانات في العمل، إهانات في الشارع والأماكن العامة في البيت والمقهى، حتى في شرب الماء نُهان (يصمت ويتطلع بالجمهور مندهشاً) *شنو غريبة؟ ليش أكو واحد منكم شارب مي نظيف؟*

صوت - (يأتي من الخارج حيث الشباك) *أستاذ محترم، بشرفك أنت محترم؟ هاهاهاهاها.*

الممثل - (يصرخ ناظراً صوب الشباك) محترم رغماً عن أنفك (ثم بصوت منخفض) ابن الكلب (ينظر إلى الجمهور في صمت ثم يقول) إذا كان الإنسان العادي (يستدرك) *يعني مو مثلي!!* (يعود لنبرة صوته السابقة) إذا كان الإنسان العادي يتعرض للإهانة مئة مرة في اليوم، فأنا أتعرض لها مليون مرة،

مليون إهانة في اليوم منذ أن منحني والدي رحمه الله أسمي المحترم جداً. ووالدي المسكين، كان مسكيناً فعلاً، *رجال من أهل الله*. في البداية كانت مشكلته في ذريته، فعندما وضعت أمي مولدها الأول وكانت بنت جميلة، تجرع والدي الصدمة وذكر الله وقال إنه رزاق كريم وأنه سيمنُّ عليه بصبي كما كان يتمنى، وقرر المسكين منح المولودة البكر اسم جميل، مُنْية، (**ينظر صوب الجمهور سائلاً**) *اسم جميل مو بالله*، (**يعود لنبرة صوته السابقة**) مُنْية الروح، مُنْية القلب، هكذا كان يناغيها في أيامها الأول، وحين ذهب لدائرة التسجيل ليسجل الطفلة ويمنحها اسمها، سأله الموظف عن اسم المولودة فقال والدي، مُنْية، دوَّن الموظف الاسم في السجل ثم رفع رأسه ضاحكاً وراح يطرح سؤاله على والدي: ولماذا أنت مستعجل هكذا؟ فسأله والدي.. عن ماذا؟.. فأجابه الموظف.. *على منيتك*، لماذا تسمي ابنتك الأولى مِنِيَّة؟ هل تريد أن يدعوك الناس بأبي مِنِيَّة حتى تأتي منيتك بسرعة؟ عندها غضب والدي على الموظف وأشبعه ضرباً، وصار الناس بعد تلك الواقعة يلقبونه بالخفية أبو مِنِيَّة، لتتحول رغبته في ولادة صبي أعظم أمانيه وأهم ما يطلبه في صلاته وتضرعه إلى الله. حتى كادت تلك الأمنية أن تصيبه بالجنون بعد أن وضعت والدتي البنت الثالثة، وصار الناس يفكرون بأمره ويشاركوه همه، وصار هو يستشير الناس والعرافات والمشعوذين والسحرة، حتى أشارت عليه القابلة

التي أخبرته بحمل والدتي للمرة الرابعة، أن يفكر بإطلاق اسم قبيح، كريه، اسم سخيف، حقير مثير للسخرية على الصبي الذي يطلبه، فتلك الطريقة على حد قولها طريقة مجربة ومضمونة، وراح المسكين بالفعل يبحث عن أخف الأسماء قبحاً وهو الطامح بالتخلص من لقبه البغيض الذي أطلقه الناس عليه بسبب ذلك الموظف الأرعن. (**تطفأ الإنارة المسَلَّطة على الممثل**).

خيال - (**يظهر خيال لإنسان خلف الحاجز الأول يمثل والد الممثل يتحرك بحيرة ذهاباً وإياباً قائلاً**) ما هذه الورطة التي وضعني بها رب العالمين؟ لقد حوَّل ذلك الكلب موظف التسجيل أجمل الأسماء إلى لقب قبيح، فكيف إذا أطلقت على ولدي اسم قبيح؟ عندها سيكون اسمي أو لقبي أقبح من الأول. ترى ماذا عليّ أن أسميه؟ *جرو، چلب؟ حمار؟ بطّو، زبالة؟ بُلُم، نهّير، شخّير؟ ضراط؟* (**يعلو صوته غاضباً**) ماذا يعني هذا؟ هل يعني بأني أتخلص من لقب سخيف لأقع بلقب أسخف منه؟ لا والله، سوف أبحث له عن اسم محترم، بل محترم جداً، وسيستجيب الله لي، أكيد سيفعلها، أليس هو الرحمن الرحيم؟ وإذا لم يفعلها هذه المرة فلن أتضرع له بأمر ما حييت، سوف أسمي ابني.. هكذا.. اسم له رنة.. اسم محترم (**صمت لثوان**) نعم، سوف أسميه محترم.. محترم.. آه (**يضحك**) *شلونك أبو المحترم.. الله بالخير أبو المحترم*.. نعم، محترم.. محترم.. وأنا أبا المحترم. (**يختفي**

خيال الرجل بإطفاء الإنارة خلف الستار وتعاد الإضاءة على الممثل فيظهر في مكانه السابق)

الممثل - وما هي إلا بضعة شهور حتى وضعت أمي صبي جميل، رقيق بملامح ملائكية **(يخاطب الجمهور بشيء من الزهو)** أنا.. كنت أنا ذلك الصبي. حينها غمرتْ أبي الفرحة، وسارع لدائرة التسجيل كي يمنحني اسمي ويدخلني سجل العائلة، ومن حسن حظه أن موظف التسجيل الذي كان يتشاجر معه في كل مرة يدخل فيها مكتبه كان قد نُقل وحل محله موظف آخر فاستبشر أبي خيراً، وأخبره سبب مثوله أمامه، وحين سأله الموظف عن اسم المولود قال أبي بفخر: محترم.. لقد قررت أن أسميه محترم. عندها رفع الموظف رأسه ناظراً في وجه أبي وقال مطلقاً ضحكة مجلجلة.. *منو إيكول*.. فَهَمَ والدي التلميح السخيف في كلام الموظف، فاستشاط غضباً.. *وعلكت* .. وكانت تلك المشاجرة هي أولى لحظات مأساتي بسبب أسمي المحترم جداً والتي استمرت حتى يومنا هذا. **(ظلام تام لثوان، ثم تعاقب بعض الأضواء على شكل فلاشر. تتعالى أصوات متسارعة من بين أرجاء المسرح يتخللها صوت الممثل)**

صوت - *منو محترم؟*

الممثل - *آني*

صوت - *خو ما إمصدكَ؟ هاهاهاهاها*

صوت 2 - ما اسمك يا بني

الممثل - (يقلد صوت طفل) محترم أستاذ

صوت 2 - *ابني، أعرف أنني أستاذ محترم*، ولكن ما اسمك أنت؟

الممثل - (بصوت طفل) محترم يا أستاذ، أنا اسمي محترم

صوت 2 - طيب أبني، اجلس، يبدو أنك ستعيش حالماً بنتفة احترام

صوت 3 - كيف أنتَ يا صديقي محترم؟

الممثل - بخير، أشكرك

صوت 3 - وهل ما زلت محترماً هاهاها

الممثل - أعتقد ذلك يا صديقي

صوت 3 - هل أنت واثق يا صديقي؟

الممثل - نعم يا ابن الكلب

صوت 4 - *بنتي تره الولد خوش ولد، وسمعته طيبة*

الممثل - (يقلد صوتاً نسائياً) *والله أدري بابا، بس اسمه سخيف*

صوت 4 - *ليش اشبيه اسمه؟ والله كلش محترم*

الممثل - (يقلد صوتاً نسائياً) *هيه هاي المشكلة، ما أريده بابا فدوه أروحلك، ما أريده، ما أريده.*

(تتوقف حركة الأضواء، وتنار بقعة ضوء يظهر من خلالها الممثل في أحد جوانب المسرح)

الممثل - بعد موجات الغضب المتكررة، وبعد الإحباط وتخمة السخرية، قررت منذ بضعة سنوات أن أغير أسمي عندما يسألني عنه شخص عابر، واخترت أن أغيره إلى مُحَرَّم، اسم جميل وشائع، وهو كذلك اسم لأحد الأشهر القمرية **(تطفأ الإنارة ويخيم ظلام تام لثوان، ثم تعود حركة الأضواء المتعاقبة**

والمتسارعة - فلاشر - ويعود تعالي أصوات من بين جنبات المسرح يتخللها صوت الممثل)

صوت 1 - صحيح اسمك محرّم؟ هاهاها، محرّم فؤاد، يا عيني، بس أنت ما تشبهه

الممثل - يا معود دروح، يا محرّم فؤاد

صوت 2 - ها!! محرّم، اسم حلو

صوت 1 - بس تعرف؟ محرّم يعني عاشور

الممثل - أدري

صوت 2 - بس وين قامتك، وين زنجيلك؟ لو يمكن أنت من اللطامة؟ ها!! يمكن أنت إليّ اتشيل الهودج؟!!

صوت ٣ - محرّم، محرّم، فد مقطع من أغنية على ذوقك فدوه

(ظلام)

المشهد الثاني

(تنار بقعة ضوء في طرف المسرح، يظهر الممثل جالساً إلى طاولة الكتابة فاتحاً أمامه كتاباً، ويظهر عليه الاستغراق في القراءة، وبعد ثوان معدودات من تسليط الإضاء يرفع الممثل رأسه ناظراً إلى الجمهور ويقول:)

الممثل - إن الذي عانيته بسبب اسمي، والذي عاناه أبي بسبب الأسماء وتفكه المتفكهين، يندرج تحت محاولات إلغاء الآخر **(يصمت قليلاً ثم يضيف)** أقصد ثقافة إلغاء الآخر، نعم، ثقافة، ثقافة إلغاء الآخر، هذا ما توارثناه منذ قرون، منذ أن عرف الإنسان وجه المطامع والتسلط والتسييس والمُقَرر لأول مرة، المقرر، آه وألف آه من هذه المهنة، مهنة المقررين وتوابعهم، نعم، المقرر الذي أقنع البسطاء تحت بريق الذهب والقسوة بأهمية الحروب وقدسيتها حفاظاً على الوطن.. **(تطفأ الإنارة على الممثل، ويظهر شاخص خلف الحاجز الأيسر وهو يخطب بالناس)**

الشاخص - إذا فتح فاتح بلاداً كانت قبل الفتح حرة سائرة على شرائعَ وسُنَنٍ خاصة بها، فللتحكُّم ثلاث طرق: الأولى، أن يخرِّب الفاتح البلاد المفتوحة، ثم يؤسس سلطته على أنقاض السلطة الغابرة. والثانية، أن يعيش الفاتح في البلاد المفتوحة.

الممثل - **(يأتي صوته من الظلام)** أو من ينوب عنه لقيادة الجيش، وهذا اعتماداً على فارق الزمن أيها الفيلسوف الخبيث

المنصح بالدمار..

الشاخص - **(وكأنه لم يسمع كلمات الممثل)** والثالثة، أن يمنح البلاد حريتها السياسية، واستقلالها الداخلي، شريطة أن يفرض عليها الجزية كل عام..

الممثل - أن يسرق خيرات البلاد بأسرع وقت ممكن وبأكبر كمية ممكنة

الشاخص - **(يستمر بكلامه)** وهذا بعد أن يكون قد ترك في البلاد فئة تحافظ على سلطته في غيبته، ويكون عمل تلك الفئة النائبة أن تشرح لأهل البلاد المفتوحة حاجتهم إلى حماية الفاتح، وتعضيده، وتُدْخِلُ عليهم أن ذلك لا يتم إلاّ بإخلاصهم له - أي الفاتح - وتعلُّقهم به. **(تنار بقعة ضوء على الممثل وهو في جلسته السابقة خلف طاولة الكتابة)**

الممثل - قبل أن تعرف البشرية وجه المقرر الذي يتمتع بخاصية الإقناع الخطيرة، كانت الروح البشرية تفيض بطاقة الحب، بل إن الإنسان حين يأتي لهذه الحياة ويستنشق هواءها لأول مرة يكون كتلة من طاقة الحب **(ينظر إلى الجمهور بتمعن)** ألسنا الذين نطلق صفة النقاء والبراءة على الأطفال؟ هل يختلف أحد في أن الطفل الصغير هو أنقى روح على وجه الأرض؟ حتى أننا حين نريد أن نصف شخصاً ناضجاً بالنقاء نقول «يبدو أن هذا الإنسان، كالطفل الصغير، نقي، طاهر» **(يهمس للجمهور)** نقول تلك المقولة بعيداً عن مسامع الشخص المعني خوفاً من أن يفهمها خطأ.. ولكن الكلمة تعني أن ذلك الإنسان يفيض بطاقة الحب كالطفل

الصغير. هكذا كان الإنسان قبل ظهور المقرر، كوَّن الأسرة بدافع الحب، ثم كوَّن المجتمعات الصغيرة لتكبر شيئاً فشيئاً بنفس الدافع، وأخترع العجلة وأكتشف الزراعة والصناعة كي يخدم الآخر ويسهّل حياته، كانت البشرية تتمتع بطاقة الحب تماماً كالأطفال، كالطفل الوليد حديثاً، حتى ظهرت مهنة المقرر التي سنت قوانين الطاعة وسرقة الخيرات تحت تهديد استعمال القوة والبطش بكل من يختار العيش بطاقة الحب فقط، فتلاشت روح الطفل داخل الكبار، الطفل المحب الداعي إلى التأمل والصفاء (ينتفض مستدركاً وكأنه اكتشف الحقيقة) صار الطفل الجميل بعد ظهور المقرر ومرور الأزمان مشروع مؤجل لحمل راية المقرر، فحين يكبر الطفل ويبدأ بتعلم النطق ومن ثم المشي، أي يقف على قدميه مثلنا، أي يدخل عالم البشر الواقفين، سرعان ما يتعلم الخوف والممنوع والعيب والحلال والحرام والممكن وغير الممكن... يعني بصريح العبارة، يتعرض إلى عملية قمع مدروسة بدقة، تسمى في أغلب الأحيان «تربية» وهذا عنوان شكلي أو جانبي للعنوان الأصلي «تحجيم طاقة الحب» حتى تصل إلى اختفائها.. سباتها.. عليه أن يكون مثلنا.. عليه أن يورث خوفنا.. وتلك القوانين التي تسمى التربية ما هي إلا إحدى الممارسات السياسية الخطرة لقتل طاقة الحب داخل الروح البشرية كي يكون الإنسان مهيئاً لدخول عالم الدراسة، دراسة حروف الكتابة والقراءة كي يقرأ

المفاهيم السياسية ويكون تلميذاً شاطراً في دروس الوطنية والجغرافية والتاريخ، ويكون مثقفاً يقرأ الجريدة الوحيدة في البلد ويفهمها جيداً كونه تعلم جيداً. **(تنار الإضاءة داخل أحد الحواجز فيظهر شاخص يبدأ بالكلام مبالغ في اتزانه وثباته).**

شاخص- نحن ندرس التاريخ كما يراه ويريده السيد المقرر، وكتب التاريخ التي تدرَّس في المدارس خير دليل على ذلك، فالتاريخ الموجود في تلك الكراريس تحكي لنا تاريخ الحروب والصراعات، وتبدل الحكومات والسلاطين ودسائسهم ومؤامراتهم على الحاكم أوالحكام. ونادراً ما تحدثنا تلك الكراريس المطبوعة بأمر وأموال المقرر عن تطور الإنسان وتفكيره وإبداعاته الأدبية والفنية، أو حتى طريقته وبحثه عن الحب، وإذا حصل وعثرنا على بعض إشارات لتلك المواضيع المهمة، نجدها وقد كتبت بطريقة وأسلوب ممل ينفر الطالب منه بسرعة. وغالباً ما تكون تلك الفصول غير متضمنة الأسئلة الامتحانية، بل إن معرفة الطالب بتاريخ الحروب وأسماء قادة الجيوش المنتصرة والمهزومة هي البوابة الأرجح لدخول الطالب عالم النجاح الدراسي.

الممثل - (يعود لكلامه السابق وكأنه لم يسمع كلام الشاخص) والإنسان اليوم مسكين.. نعم مسكين.. صار يبحث عن طاقة الحب بكل وسيلة (يستدرك) هو لا يعرف الاسم الحقيقي لما يبحث عنه، ولكنه يبحث عن شيء افتقده منذ زمن

بعيد. (ينظر إلى الجمهور سائلاً) من منكم لم يذهب إلى العرافات وقارءات الفنجان؟ (يبتسم لهم وكأنه اكتشف أحد أسرارهم) قارئة الفنجان التي يؤمها الناس دون غيرها، هي التي تعرف كيف تحرك طاقة الحب داخل الإنسان دون دراية منها، أقصد دون أن تعرف شيئاً بعينه اسمه طاقة حب، فهي مثلنا «متعلمة» ولكنها تتمتع بذكاء ودهاء تعرف مخابئ ذلك الشيء الذي نبحث عنه. (تنار إضاءة خلف أحد الحواجز فيظهر شاخص امرأة جالسة بكبرياء - العرّافة - بينما تبقى الإضاءة المسلطة على الممثل)

العرّافة- أنتَ طيب القلب، تحب الناس جميعاً.. ما تمسكه يدك يذهب لغيرك.. أنت تلهث وراء مصالح الآخرين وتقضي حاجاتهم، وفي أحيان كثيرة تنسى نفسك وحاجتك الشخصية بسبب حبك للخير..

الممثل - هذا ما تفعله قارئة الفنجان الشهيرة، فأشهر العرافات هن اللواتي يحركن طاقة الحب داخل الإنسان، وتلك العرافة ودون وعي منها تعمل على تحريك طاقة الحب داخل الروح البشرية ولكنها لا تنسى أبداً أنها ابنة الواقع، فتقول:

العرّافة - ليس هناك من يفهمك كما يجب.. عليك أن تكون حذراً من الناس الذين يحيطون بك.. هناك من يتربص بك.. إن طيبتك وصفاء قلبك يجعلك في مرمى مطامع الآخرين، فأحذر!! عليك الحذر ولكن لا تفرط بحبك للناس.. (تطفأ الإنارة داخل الحاجز ويختفي شاخص العرافة)

الممثل - وبين هذا وذاك يخرج المرء من عندها طائراً على رؤوس أصابعه وكأنه قضى وقته القصير ذاك في أفخم صالة للسينما وقد عاش أحداث فيلم أسطوري ساحر. **(ينطلق مقطع من أغنية قارئة الفنجان، بينما يعود الممثل إلى طاولته وكتابه تحت بقعة الضوء)**

الأغنية - جلست والخوف بعينيها.. تتأمل فنجاني المقلوب.. قالت يا ولدي لا تحزن.. الحب عليك هو المكتوب يا ولدي.. الحب عليك هو المكتوب يا ولدي - **قطع)**

الممثل - هل تعرفون لماذا صَعَّد الملحن طبقة صوت المغني حين أتت كلمة الحب؟.. كان يريد أن يسمعنا وقعها وهي تدخل أرواحنا لتحرك داخلنا بقايا طاقة الحب، ربما هو لم يكن يدرك هذا، ولكن روحه هي التي أوعزت له بذلك.. وذلك الشاب الأسمر «عبد الحليم» الذي لا يتمتع بأي ملامح من صورة الحبيب الفارس التي تكتنزه مخيلة الفتيات، ولكنه رغم هذا أصبح فارس أحلام الكثير منهن، لماذا؟ لأنه ببساطة حرّك طاقة الحب داخلهن، بل وفي داخل أرواح الشباب أيضاً فأصبح الرمز والمثل الأعلى لعالم الحب، حتى بات الشباب يتمثلون به كي يغنموا قلوب حبيباتهم، وفي موته دلالة على ذلك، فعند إذاعة خبر موته شعر المحب أنه فقد الرمز، رمز الحب، أو الصوت الذي حرك تلك الطاقة داخل الأرواح الفتية لتلتقي على الحب، فأصبح تماماً كالعرَّاب، عرَّاب الحب ورمزه المجيد، فانتحرت عدة فتيات احتجاجاً

على موته. فحين يضيع الدليل يكون التيه طريقاً للموت.

الأغنية - (يعاد نفس المقطع مرة أخرى) جلست والخوف بعينيها.. تتأمل فنجاني المقلوب.. قالت يا ولدي لا تحزن.. الحب عليك هو المكتوب يا ولدي.. الحب عليك هو المكتوب يا ولدي)

الممثل - وحين اختفت طاقة الحب حل محلها ثقافة إلغاء الآخر (ينظر إلى الجمهور ثم يبتسم ويقول ساخراً) مشكلتي.. مشكلتكم.. مشكلتنا جميعاً.. صار الفرد متمرساً بإلغاء الآخر (تطفأ الإنارة على الممثل وتبدأ أضواء متعاقبة فلاشر في كافة أرجاء المسرح متزامنة مع صدور الأصوات)

صوت - *يعود هذا صار بالواسطة*

صوت - *ما يعرف يكتب*

صوت - *شاعر فاشل*

صوت - *ضعيف مسلول*

صوت - *هو خوش ولد بس سمعة عائلته مو زينة*

صوت - *فنان فاشل*

صوت - *أعور.. أعور*

صوت - *يعود إنت وين عايش؟*

صوت - *سمين أثول*

صوت - *أعرج الكلب*

صوت - *يمكن بالمخابرات؟*

صوت - *أشو من يمشي يتموع مثل البنات؟*

صوت - *كلش حلوة وحبابة بس أمها قرچ* (ثم تستمر الأصوات بشكل

متداخل وسريع).. كافر.. فقير.. شعّار.. وَدّي.. ريكَه وعشي.. جيبه.. دودكي.. طكّوا بالدهن.. امخبل.. معيدي.. إذبحوا.. كناس.. أچقل.. شروكي.. سِكِنْ.. إمعكَل.. عجمي.. ما بي باب.. فلاّح.. بدوي.. ما شبعان خبز.. أبو قنبوره.. أبو الشريس.. إلخ. (تتوقف الإنارة المضطربة وتنار بقعة الضوء على الممثل)

الممثل - (يصرخ) كافي.. نعلة الله عليكم (صمت) هاي شنو؟ كل هاي الألقاب نايمة بعقولنا؟ أويلي يابه، هاي احنه اشصاير بينا؟ (يغير من وضعه ويعود ليتكلم بالفصحى) اختفت طاقة الحب بفضل أفعال وأكاذيب المقرر، وحل محلها ثقافة إلغاء الأخر، منذ أن عرفت البشرية شخصية المقرر الذي راح يرعب الناس ويمجد الحرب، يقتل المئات بل الآلاف من الشبان الحالمين تحت كذبة اخترعها هو، الوطن، الدفاع عن الوطن، الموت من أجل الوطن، وصار يدعو ويدعم الشعراء وكتّاب القصص والروايات التي تمجد الجندي وهو يموت مقتولاً برصاص جندي آخر، يكون القاتل بطلاً ينال الأوسمة والنياشين، ويكون المقتول شهيداً ينال الأوسمة ومكاناً في الطين.. هذا ما فعله المقرر، قتل طاقة الحب بالحروب وتجويع الناس بحجة الوطن وجعل منهم في نهاية المطاف شرطة وجنود ومخبرين وكتبة همهم الأول خدمة السلطان.. المقرر.. ولي نعمتهم. وفي خطاباته الموجهة غالباً إلى الشعب يوعدهم بالكثير مما ينقصهم، فهو يعرف حق المعرفة ما

يعاني منه أبناء الشعب، كيف لا وهو سبب مصائبهم (تطفأ الإنارة على الممثل وتنار إحدى الحواجز فيظهر خيال رجلاً يتمثل بالمقرر)

المقرر - أيها الشعب العظيم، يا أبناء هذا الوطن العزيز الكريم، إن أعداءكم يتربصون ببلدكم وخيراته، ويتحينون الفرصة كالذئاب الجائعة المتطلعة إلى صيدٍ دسم، فهذا البلد العظيم، بلد الحضارات والتاريخ المشرف، له كفيل بهمة أبنائه الغيارى الشرفاء الذي هم على أتم الاستعداد على تقديم الغالي والنفيس والتضحية بأموالهم ودمائهم وأبنائهم، في دحض شرور الأعداء وكسر شوكتهم..

الممثل - *وأنت بيش راح اتضحي؟*

المقرر - **(يكمل خطبته دون الاكتراث للممثل)** وأقسم لكم بتراب هذا البلد العظيم وبدماء الشهداء الأبرار الذين سقطوا في معاركنا السابقة بأن كل فرد منكم سيكون ملكاً إذا ما قورن بأبناء البلدان الأخرى، ولكن علينا أن نتخلص من (أعدائنا) أولاً وحينها سيكون (لكلٍّ حادثٌ) حديث..

الممثل - لكلٍّ حادثٍ

المقرر - انجب **(ثم يكمل حديثه)** أعدكم بزيادة رواتب الموظفين، وإيجاد عمل لكل عاطل، فالخطة الخمسية التي تعطلت بسبب مطامع الأعداء كان من شأنها أن تحسن من ضخ الماء الصافي في المدن والأرياف وأن تحسن توزيع التيار الكهربائي وتخلصكم من طفح أنابيب الصرف الصحي وأزمة السكن

واختناق الشوارع بالمركبات والمارة، ولكن أعداءكم لا يريدون لكم الخير، يريدون تعطيل خططنا في التطور وبناء البلاد على النهج الديمقراطي الحديث، ولكن هيهات، فالغد المشرق لنا ما دام هناك ضوء في نهاية النفق، وما دام هناك شيء يلوح في الأفق..

الممثل - **(يصفق باستخفاف)** يعرف كل ما ينقص الشعب، يعرف متطلباتهم، يعرف كيف يُمَنّي الشعب بالوعود ويطلق كلامه المعسول، فقط عندما يشعر بالخطر، فقط حين يهتز كرسيه، يتوسل الشعب في وقت المحن، وفي وقت الرخاء ينعت الشعب بالحمير **(يستدرك بإشارة ماجنة)** في جلساته الخاصة طبعاً. **(يعود إلى نبرته السابقة)** يطلق كل الصفات القبيحة على شعبه حين يكون مسترخياً، وهو يعرف أن بعض الصفات حقيقية، ويعرف أيضاً أنه هو الذي شارك في صنع تلك الحقيقة، ولكن الشعب دائماً في صحوة من أمره، يعرف كل شيء ولكنه مغلوب على أمره، مسلوب الإرادة، يبتكر النكتة والإشارة والهمز واللمز ويخترع المصطلحات ليستخدمها سلاح في وجه المقرر الظالم، أو دواء يخدر به جروحه، ومن تلك الأسلحة استخدم الشعب الأغنية، ذلك السلاح الخطر الفتاك الذي يصل بسرعة مذهلة إلى مسامع الناس الخبيرة بفهم الإشارة **(تطفأ الإنارة على الممثل وتنطلق موسيقى أغنية شعبية حيث تنار إحدى الحواجز فيظهر خيال لراقصة وإلى جانبها يجلس بالمقرر)**

الأغنية - (أغنية باللهجة المصرية) وبحبك يا حمار.. والعلمك يا حمار.. أنا بأزعل أوي لما حد ايألك يا حمار.. يا عم الحمير كلهم.. علي الطرب عمهم.. ولابس حزام بدل اللجام.. وعايز كريم بدل البرسيم.. وبحبك يا حمار. (تستمر الأغنية حتى نهاية المقطع)

المقرر - (ينخفض صوت الأغنية بينما الراقصة مستمرة في حركاتها. يتحدث المقرر باللهجة المصرية) *إلا أوليلي يا بت، هو مين الحمار؟*

الراقصة - (تطلق ضحكة ماجنة) *هيهيهي إلّي ما بيعرفش مين الحمار.* (تستمر الأغنية لثوان معدودات، ثم تطفأ الإنارة على الحاجز وتقطع الأغنية وتنار بقعة الضوء على الممثل)

الممثل - تتحرك طاقة الحب في دواخلنا بعض الأحيان، فنشعر بإنسانيتنا أو بنشوة خاصة لا نعرف في أغلب الأحيان سببها، حين نسامح أو نتصالح، وحين نقدم مساعدة للآخر دون أن يطلبها، حين يقبل الحبيب حبيبته أو يتبادل معها الحب، حين نضحك أو نتحدث مع الأطفال، نعم الأطفال، أولئك الذين لم يتعلموا الكلام بعد. ليس هناك شخص في عالمنا لا يسعى إلى كسب احترام الناس وتقديرهم؟ كيف لا وهي السعادة بعينها، ولكن، دعوني أسأل، كم واحد منا تلمس يده بيده الأخرى وهو ينظر إليها متمعناً بانزلاق الجلدة على العظام ونتوء الشرايين وألوانها؟ قلة قليلة على الرغم من أننا نتلمس أيدينا عشرات المرات في اليوم الواحد، خصوصاً

حين نشعر بحرارتها ونحن نصفق لشعار أجوف. وقد يحدث ونمعن النظر في اليد التي تتلمس توأمها، ولكن حين نكون في نوبة خجل أو شاردي الذهن، أي أننا في حقيقة الأمر لا ننظر إلى اليد أو الكف، بل نستأنس بلمسها كي تتضح لنا الفكرة. هذا هو بالضبط ما أرمي إليه، علينا أن نتلمس الآخر كي تتضح في مخيلتنا الفكرة.. الفكرة.. الفكرة.. الحياة، أليست الحياة فكرة؟ (يصمت لثوان ثم يتابع) البسطاء الذين يشغلهم أمر الآخر والذين لا يعرفون الطريقة الأمثل لتحريك طاقة الحب داخله، يتجهون إلى طرق لا تخلو من البساطة والسذاجة في أغلب الأحيان من أجل كسب وده واحترامه (يستدرك) أقصد الآخر.

صوت - **(يأتي من وراء الكواليس وكأنه يذكر الممثل بشيء، يناديه باسمه الحقيقي -طارق مثلاً - بصوت هامس وكأنه الملقن، حريص على ألا يسمعه الجمهور)** *طارق.. طارق.. البازبند*

الممثل - *شنو؟*

الصوت - *البازبند.. البازبند يا معود*

الممثل - البسطاء منا يفكرون بطاقة الحب على طريقتهم، فحين يتوجهون إلى لقاء مهم، لمقابلة شخص ما، حبيب، مدير عام، شرطي أو مقرر صغير، يعمدون على ترتيب هندامهم، وتصفيف شعرهم وتلميع أحذيتهم، من أجل أن ينالوا القبول لدى المستقبِل، وهناك من يفكر في امتلاك الحجاب أو تعويذة خاصة يلبسها الشخص مربوطة على زنده، تسمى

بالعراقي البازبند، وتلك التعويذة الخاصة مهمتها أن ينشرح صدر من يلقاك ويستقبلك بفرح حالما يراك، ولكن الحقيقة تقول إن طاقة الحب هي أقوى تعويذة من شأنها أن تسحر المقابل وتجعله مأسوراً لديك، فقط عليك أن تختلي بنفسك لساعات قبل لقائه وتفكر مَليّاً بأنك تحبه، أو تعوِّد روحك وتقنعها بأنكَ تحبه، ولو فعل الآخر نفس الفعلة تكون المهمة أسهل، والوضوح يكون تاماً، أي تتضح في مخيلتنا الفكرة.. الفكرة.. الفكرة.. الحياة، أليست الحياة فكرة؟ **(تطفأ الإنارة على الممثل وتنار أخرى في إحدى الحواجز فيظهر خيال شاخص «الشاعر» يعتمر قبعة ويقف وسط الحاجز يلقي شعراً)**

الشاعر - الثابتون أبداً

الممثل - **(يأتي صوته من داخل الظلام يقلد نبرة الشاعر)** المقررون أبداً

الشاعر - الثابتون أبداً والساذجون

الممثل - المقررون أبداً والمعجبون بهم

الشاعر - أرجوك يا صديقي ألا تقاطعني، بالمناسبة هل تفهم الألمانية؟

الممثل - أكيد، إذا كانت مكتوبة بأسلوب طاقة الحب

الشاعر - عظيم جداً، دعني أكمل شكواي إذاً، أقصد فكرتي وأنتبه لكل كلمة فيها **(يبدأ بإنشاد شعره)**

الثابتون أبداً والساذجون

لا يحتملون بالطبع شكّنا

ويشرحون لنا ببساطة أن العالم مسطح
وأن أسطورة الأعماق هراء

الممثل - وأن أسطورة الحب والصفاء والوضوح هراء

الشاعر - (يظهر ضيقه من مقاطعة الممثل له) لا تقاطعني يا صديقي،
أرجوك **(ثم يعود لقراءة قصيدته)**
الثابتون أبداً والساذجون
لا يحتملون بالطبع شكّنا
ويشرحون لنا ببساطة أن العالم مسطح
وأن أسطورة الأعماق هراء
.....
لأنه لو كانت هناك فعلاً أبعاد أخرى
غير البعدين الطيبين المألوفين للناس منذ القدم
فكيف يمكن أن يعيش إنسان آمناً
وكيف يعيش إنسان بلا هَم؟
.....
فكيفما نحقق سلاماً
دعونا نُحَذِّف بعيداً
.....
فإذا كان الثابتون مخلصين حقاً
وكان النظر إلى الأعماق خطيراً إلى هذا الحد
فإن البعد الثالث أمر يمكن صرف النظر عنه.

(تطفأ الإنارة على الحاجز فيختفي شبح الشاعر وتنار بقعة

الضوء على الممثل)

الممثل - (يشير حيث الحاجز الذي ظهر فيه خيال الشاعر منذ قليل ويقول بفخر) صديقي (يصمت لثوان مبتسماً وعلامة الزهو مرسومة على محياه ثم يقول) صديقي، هيرمان هيسة. (يستدرك حيث يغير لهجته ليتكلم بجدية واضحة) الموسيقي والكاتب والعالم والشاعر الذي يثير فينا الدهشة والذي يدعو الناس إلى تحريك طاقة الحب لتكون الأداة في التعامل مع الحياة، الذي يدعو إلى الصفاء والوضوح واكتشاف خبايا الحياة وزواياها التي لم تكتشف بعد، ربما يكون وحيداً حزيناً حالماً مكتئباً مثقلاً بهموم الحياة، ولكنه رغم ذلك يحاول جاهداً أن يعبر فوق آلامه ليصور لنا الجمال ويقدم لنا وجبة حياتية مترعة بالصفاء وبهجة الفكرة ودهشتها، بينما يمنحنا المقرر في لحظة صفائه ووضوحه، الشعارات الزائفة والوعود الكاذبة، وفي أحيان أخرى يمنحنا الحروب والدمار والجوع، يمنحنا الموت، ترى من هم الساذجون؟ نحن أم هم، أولئك الذين يتحلقون حول المقرر راقصين؟ ترى من هم الساذجون؟ الشاعر والموسيقي والكاتب والعالم، المبدع؟ أم هم؟.. أولئك.. (قطع - تطفأ الإنارة في كافة أرجاء المسرح وتنطلق أغنية لفيروز)

الأغنية - (تنطلق مع الظلام المخيم على المسرح) من زمان.. أنا وزغيرة.. كان في صبي يجي من الإحراش.. ألعب أنا ويا.. كان اسمه شادي.. أنا وشادي غنينا سوى.. لعبنا على

الثلج.. ركبنا بالهوى.. كتبنا على الحجار.. قصص صغار.. ولوحنا الهوى.. ويوم من الأيام.. ولعت الدنيا.. ناس ضد ناس.. علقوا بهالدني.. وصار القتال.. يقرب على التلال.. والدنيا دنيا.. وعلقت ع أطراف الوادي.. شادي ركض يتفرج.. خفت وصرت أندهلو.. وينك رايح يا شادي.. أندهلو ما يسمعني.. ويبعد يبعد بالوادي.. من يومتها ما عدت شفته.. ضاع شادي.. والثلج أجا وراح الثلج.. عشرين مرة إجا وراح الثلج.. وأنا صرت أكبر.. وشادي بعده صغير.. عم يلعب على الثلج.. على الثلج. **(إضاءة على الزاوية التي يكون فيها الكرسي وطاولة الكتابة بعد انتهاء الأغنية مباشرة، ويظهر الممثل جالساً حيث الطاولة واضعاً وجهه بين راحتيه وهو يقول)**

الممثل - لقد مثل الشاعر طاقة الحب بشخصية الطفل، نعم، الطفل شادي الذي كان يلعب مع حبيبته بالثلج، ولكن حين ظهر المقرر ليقرر نشوب الحرب، ضاع شادي بين حشود المتقاتلين، ضاعت طاقة الحب، بقي الإنسان المتمثل بصوت الشاعر وبالتالي صوت المطربة يبحث عن تلك الطاقة الكنز، وهذا هو حالنا نحن البشر منذ أن **(يتكلم باللهجة اللبنانية تماماً كما كانت الكلمات في الأغنية)** ولعت الدنيا، وعلقت ع أطراف الوادي **(يعود إلى نبرته ولهجته السابقة)** منذ أن ظهر المقرر وفي أذياله الحروب والموت.. **(صمت لثوان)** كم هو جميل ذلك الشاعر الذي صور لنا قصة البشرية في

ثوان معدودات؟ تصوروا أنه اختزل الزمن، اختزل عشرين عاماً أو ربما عشرين قرناً من الزمن في كلمات بسيطة وهو يصور مأساتنا وأمنياتنا (يصمت قليلاً وهو ينظر صوب الطاولة، ثم يتناول كتاباً ويفتحه ثم يبدأ بالقول وكأنه يقرأ دون النظر إلى الكتاب) تشاجر الحبيب مع حبيبته أو زوجته (يستدرك) لا، لا حبيبته هكذا جاء في إحدى الروايات (يتابع) تشاجر معها وعلا صراخهم وكان يعرف بأنه صاحب الخطأ، ولكن كبرياؤه..

صوت - *شنو!!؟ كبرياؤه!! .. بالله هاي مو يحتاجلها طبيبط .. يابه يا كبرياء إذا هو كل ليلة ايرهول على صدرها؟ وياكل ويشرب من ايديها، وبعدين ايدور وياها كبرياء؟*

الممثل - المهم (يشير تجاه الصوت) تربية غلط.. كبرياؤه الذي منعه من الاعتراف بخطئه ومنعه بالتالي من الاعتذار، وعندما لاحظ أن حالة حبيبته الثائرة وصلت حداً خطيراً قد يفقدها سيطرتها أو يدخلها في نوبة إغماءة عظيمة، خرج يدك شوارع المدينة بقدميه، لم تكن هناك وجهة معينة يقصدها، فغرق في تفكير عميق وراحت الصور تظهر أمامه كفيلم سينمائي. تصور أن حبيبته نتيجة لنوبة الشجار تلك قد تملكتها نوبة من الحرارة والهذيان ففقدت على إثرها القدرة على التنفس فلفظت أنفاسها الأخيرة، ثم تم تشييعها ودفنها في مقبرة العشاق.. تصور أن مقبرة العشاق هي أكبر مقبرة في العالم.. وشاهد نفسه يجلس عند قبر

حبيبته باكياً بمرارة، ثم رفع رأسه إلى السماء متوسلاً أن تعيد له حبيبته للحظة واحدة كي يعتذر منها ويحتضنها.. سالت دموعه على خديه وهو يجوب الشوارع واضعاً كفيه بجيب بنطاله، أفزعته المشاهد التي تخيلها، فقال في نفسه، ما هذه المشاهد المرعبة؟ كيف أتصور هذا وحبيبتي في بيتي تنتظر عودتي؟ فعاد أدراجه مسرعاً إلى بيته كي يحتضن حبيبته، وحين دخل البيت وجد زوجته ملقاة على الأرض وقد ماتت (**لحظة سكون، وموسيقى حزينة لثوانٍ.. يطلق الممثل ضحكة صاخبة يهزأ بها من الجمهور ثم يقول**) هل شعرتم بقليل من الحزن؟ على الشخص الذي شعر بذلك، أن يكون متأكداً من أن طاقة الحب ما تزال تنبض بالحياة داخل روحة (يستدرك) لا، بالحقيقة لم تمت الحبيبة بل وجدها عند الباب تنتظره، احتضنها وأعتذر منها.. لقد أعادته طاقة الحب التي أخمدها المقرر في داخله منذ قرون إلى حبيبته، أعادته إلى طبيعته البشرية، حين تحدث إلى روحه ثوانٍ معدودات.

صوت - (**يأتي من خلف الكواليس**) *ولك أنت منين اتجيب هذا الحچي؟ أني شعليه؟ ابن الكلب!!*

الممثل - (**يشير اتجاه الصوت ويتحدث للجمهور**) المقرر (**ثم يتجه بكلامه صوب الصوت**) *شلون أنت شعليك؟ لعد همه ليش اتعاركو؟ غير بسبب أبو الشاب الي كان يشتغل مثل شغلتك* (**يتحدث إلى الجمهور**) كان والد الشاب أحد نبلاء ذلك

العصر، وكان معارضاً بشدة لزواج ابنه من حبيبته، بل إنه راح يحوك المؤامرات من أجل منع ذلك الزواج. على العموم، دعوكم من هذا المتغطرس الذي تنكر لسخافاته منذ قليل، أنه يكذب على الدوام، فهو في الحقيقة سبب مصائبنا جميعاً، فحين صنع الإنسان الألعاب النارية منذ قرون بعد أن اكتشف سرها.. أعتقد كان ذلك في الصين؟.. كان يروم التعبير عن فرحته بشكل أكثر علانية، كان شيئاً عظيماً أن يزيّن الإنسان ظلام الليل بشموس صغيرة تتلألأ في السماء لبضع وقت. ولكن ما الذي حدث بعد ذلك.. أتى هذا الملعون وحولها إلى صواريخ تقتل الأبرياء بحجة الدفاع عن الوطن

المقرر - *لا يا خائن، لعد اتريد الأعداء يحتلون البلد؟*

الممثل - معتوه، الأعداء الذين يتحدث عنهم هو الذي صنعهم.. المهم، وحين اخترع الإنسان الكهرباء لينير بها حياة الإنسان ويبدد الظلام الذي يلفهم أتى هذا المتغطرس ليستخدمها في تعذيب السجناء أو تعذيب الشعب من خلال قراراته الخفية بقطعها عنهم ساعات طوال..

المقرر - *مو سجناء يول، خونة مثلك، وإنّا لهم بالمرصاد*

الممثل - *أسكت ولك.. خونة!! خونة إلمن؟ إلك أنت؟ لو ما أنت وقراراتك وسرقاتك ما كان هناك لص أو مجرم أو سجين، نسيت بأنه أنت من اخترع السجن، لا والمشكلة يكتب على باب السجن عبارة اشكبرهـا «السجن إصلاح وتهذيب»* (**يغير من لهجة ويوجه حديثه للصوت**) ولكن تذكر أيها المقرر المجرم

بحق شعبك أن من يسرق بسبب الجوع ويثور بسبب الظلم هو إنسان شريف ويستحق التقدير حسب قانون البشرية، أقصد حسب قانون الطاقة، طاقة الحب.

المقرر - *والله ذبحتي بالحب.. هو شنو الحب؟ بوس!! بوسة بوستين اتلاثة، وبعدين الواحد يشرب كَلاص مي لأن ريجه ينشف؟*

الممثل - حمار.. عفوا، سخيف، ساذج.. دعونا من هذا المتخلف.. دعتني طاقة الحب يوماً أن أفكر في شيء خيالي كان يدور في خلدي، فقد فكرت في أن ينفع الإنسان أخاه الإنسان عن طريق المعرفة، فتصورت أني حين أصل لحظة الموت، فأني بالتأكيد كنت قد عشت عمراً كاملاً ونهلت من المعرفة الكثير، ولكن معرفتي تبقى ناقصة بالتأكيد، ولذلك تمنيت لو أبعث للحياة من جديد ولكن بنفس العقل والمعرفة التي أحملها لحظة مماتي، يعني أن أنال من العلم والمعرفة بطاقة عمرين لشخصين مختلفين ولد الثاني في يوم وفاة الأول، ثم أطلقت العنان لمخيلتي وأنا أتلذذ بتلك الفكرة، وتمنيت لو أن ما أتمناه قد حدث مع أنشتاين مثلاً، أو الفارابي أو إبن سينا أو آخرين، حين ذلك لمعت في ذهني حقيقة جعلتني أضحك طويلاً حتى أني ذهبت إلى المرآة كي أشاهد ملامح الخيبة والخجل على وجهي، وسبب ضحكي وشعوري بالفشل هو أني اكتشفت أن أغلب الأسماء التي استحضرتها في ذهني هم في الحقيقة قد تركوا عقولهم ومعرفتهم في متناول أيدنا، وما علينا سوى أن نطلع عليها ونضيفها إلى عقولنا بدراية وتمعن

ثم نزيد عليها ما أمكننا، فكتبهم ومؤلفاتهم تملأ رفوف المكتبات. منذ ذلك الحين وأنا أفتش بين الكتب عن عقول كان وما يزال لها الأثر الكبير في حياة البشرية خصوصاً تلك العقول التي كانت تدعو إلى تحريك طاقة الحب من جديد، حينها توجهت إلى مكتبتي الصغيرة **(يتوجه إلى زاوية المسرح حيث رفوف الكتب، ويستل كتاباً ثم يتأبطه وهو مستمر في كلامه)** وأخذت أول كتاب وقع عليه نظري، كان يحكي قصة حياة شاعر ويستشهد بالكثير من قصائده، فرحت أقرأ وأقرأ بنهم، صحيح أني قرأت الكتاب هذا من قبل، ولكني في هذه المرة صرت أقرأ وطاقة الحب تدفعني **(يتوجه حيث الأريكة)** وبقيت أقرأ حتى سيطر عليَّ النعاس **(يضطجع على الأريكة ويؤدي دور النائم)** فغفوت إغفاءة ملائكية، ومن قرارة النوم زارني الشاعر **(تضاء الإنارة خلف الحاجز القريب من أقدام الممثل ليكون قبالته فيظهر شاخص السياب بينما تبقى الإنارة مسلطة على الممثل)** وتمثل أمامي بشحمه ودمه، أقصد بجلده وعظمه وهو مبتسم في وجهي، وحينها أسرني سراً خطيراً، وقال إن طاقة الحب التي كانت تملأني والتي كنت أحركها صوبه من خلال قراءتي لما كتبه هي التي دفعته إلى زيارتي **(ينطلق صوت الشاخص من خلف الحاجز)**

السياب - اسمع يا صديقي الممثل، إن ما يشغلك منذ زمن، هو ما كان وما يزال يشغل تفكيري، الصراع المرير بين إظهار طاقة

الحب ومحاولة إلغاء ثقافة إلغاء الآخر التي تشغل تفكيرك وآخرون غيرك، ذلك الصراع كان أحد همومي الكثيرة، بل كان على رأس الهموم في فترات مختلفة، وبما أنك مثلي في الهم والبحث، أريد أن أسرك سراً لا يعرفه أحد غير المنشغلين بهمنا المشترك. صرت أشعر منذ أن عرف الدم تدفقه في أجزائي وأنا أدخل مرحلة الشباب، بأن شكلي يقف عائقاً أمام دهشة روحي، وأن الشكل كما تعرف له سحره الخاص تحت تأثير ثقافة الإلغاء البغيضة، وقد حاول السذج وأصحاب الأدمغة السميكة أن يلغوا الكثير من قصائدي وأفكاري متكئين على شكلي وخزينهم المتماسك من تعاليم الإلغاء، فصرت أكثر انطواء وأعمق تفكيراً، وفي لحظات معينة، حين تشتد بجسدي نزعات دهشة الروح، كنت أقرر أو استسلم إلى فكرة الارتباط بحبيبة عمياء كي لا تنظر إلا صوب أفكاري وإنسانيتي، وهذا السر الذي أعرف بأنك ستحافظ عليه، ظل يلازمني كفكرة وأمنية حتى قابلت امرأة عمياء بالفعل ولكن انطفاء عينيها قد أوقد في روحي ملحمة شعرية أشبعت كل جوع كان يقلق روحي.

الممثل - (يتكلم كما الحالم أثناء غرقة في النوم) لن أسألك عن دعواتك في إطلاق طاقة الحب عند البشر لأنها ببساطة سهلة الاكتشاف والاستخدام، ألم يستخدمها الأطفال في أيامهم الأولى من دخولهم عالمنا المضطرب هذا؟

السياب - أرجو ألا تسهب كثيراً، فأنت نائم، قل ما تريد!

الممثل - أريد أن أناقشك في دعواتك لكشف ثقافة إلغاء الآخر التي زرعها المقرر في نفوسنا...

السياب - **(يقاطع)** حسناً يا صديقي سوف أقرأ لك بعض أبيات من قصيدة أنبه فيها عن قباحة الدنيا فيما لو اختفت طاقة الحب التي شبهتها بالأطفال **(ثم يقول ساخراً وكأنه متأكد من إن ما يقوله يعرفه الجميع)** وهذا سر آخر أفشيه إليك **(يبدأ بالقراءة)**

وكم من أبٍ آيبٍ في المساء
إلى الدار من سعيه الباكرِ
وقد زمَّ من ناظريه العناء
وغشّاهما بالدم الخاثر
تلَقَّاه في الباب طفلٌ شرود
يكركر بالضحكة الصافية
فتنهلُّ سمحاء ملء الوجود
وتزرع آفاقه الداجية
نجوماً، وتنسيه عبء القيود

الممثل - **(يغني الأبيات)**

وهُمّ في ليالي الشتاء الطوال
ربيعٌ من الدفء والعافية

(تطفأ الإنارة على الحاجز فيختفي شاخص الشاعر، بينما يبقى الممثل على وضعه السابق)

تلمّ العجائزُ فيه الورود

ويلمحن عهد الصبّا ثانية
ويرقصن بين التلال
يرجّحن أرجوحة في الخيال
بعذراءَ في ليلةٍ مقمرة
وفي ظلّ تفاحةٍ مُزهرة
تنام العصافير فيها...

(تبدأ موسيقى بالعزف ويبقى الممثل في وضعه النائم، ولكنه سرعان ما يكتشف غياب شاخص الشاعر، فيبدأ بالنداء عليه وكأنه يريد أن يكمل معه الحديث)

بدر.. بدر.. أين أنت؟ لماذا تذهب يا أخي؟ هل تعرف بأن التحدث إليك فرصة عظيمة؟ فأنت أفضل مثال وأعظم ضحية من ضحايا ثقافة إلغاء الآخر.. هل أذكرك بقصيدتك التي كتبتها لزوجتك تطلب منها ان تحبك بصدق؟ **(تنار الإضاءة على الحاجز الآخر فيظهر شاخص الشاعر وهو يقول)**

السياب - أعرف هذا، فقصيدة «أحبيني» كنت قد كتبتها بالفعل إلى زوجتي..

الممثل - **(يقاطع)** وفيها تعترف بأنك خضت سبع تجارب مع سبع فتيات ولكن جميعهن..

السياب - **(يقاطعه، ويبدأ بتلاوة قصيدته)** ما أحبوني
وما من عادتي نكرانُ ماضيَّ الذي كانا،
ولكنّ... كلُّ من أحببْتُ قبلك ما أحبّوني

ولا عطفوا عليَّ؛ عشقتُ سبعاً كنّ أحيانا
ترف شعورهن عليَّ؛ تحملني إلى الصينِ
سفائنُ من عطورهنّ، أغوص في بحرٍ من الأوهام والوجدَ
فألتقط المحار أظنُّ فيه الدُرَّ، ثم تظلُّني وحدي جدائلُ نخلةٍ فرعاءْ
فأبحث بين أكوام المحار، لعلَّ لؤلؤة ستبزغ منه كالنَّجمه،
وإذ تدمي يداي وتُنزع الأظفار عنها، لا ينزُّ هناك غيرُ الماء
وغير الطين من صَدَفِ المحار فتقطر البسمه
على ثغري دموعاً من قرار القلب تنبثقُ،
لأن جميع من أحببتُ قبلك ما أحبُّوني.

الممثل - آه فتلك باعتني بمأفونٍ
لأجل المال، ثم صحا فطلقّها وخلاّها.

السياب - وتلك لأنها في العمر أكبر أم لأن الحُسن أغراها
بأني غير كفءٍ خلفتني كلما شرب الندى ورق
وفتح برعم مثلتها وشممت رياها
وأمس رأيتها في موقف للباص تنتظر
فباعدت الخطى ونأيت عنها لا أريد القرب منها

الممثل - وتلك كأن في غمّازتيها يفتح السّحرُ
عيون الفُلِّ واللّبلاب عافتني إلى قصر وسيّاره
إلى زوج تغيَّر منه حالٌ فهو في الحاره
فقير يقرأ الصحف القديمة عند باب الدار في استحياء
يحدثها عن الأمس الذي ولّى فيأكل قلبها الضَّجر

السياب - وتلك وزوجها عبداً مظاهر ليلها سهر
وخمرٌ أو قمار ثم يوصد صُبحها الإغفاء
عن النهر المكركر للشراع يرفّ تحت الشمس والأنداء
وتلك وتلك شاعرتي التي كانت لي الدنيا وما فيها
شربت الشِّعر من أحداقها ونعست في أفياء
تنشرها قصائدها علي: فكل ماضيها
وكل شبابها كان انتظاراً لي على شطٍ يهوِّم فوقه المطر
وتنعس في حماه الطيرُ رشّ نُعاسها المطر
فنبهها فطارت تملأ الآفاق بالأصداء ناعسةً
تؤج النور مرتعشاً قوادمُها وتخفق في خوافيها
ظلال الليل أين أصيلنا الصيفيُ في جيكور ؟
وسار بنا يوسوس زورقٌ في مائه البلور
وأقرأ وهي تُصغي والربى والنُّخل والأعناب تحلم في دواليها
تفرقت الدروب بنا نسير لغير رجعه
وغيَّبها ظلام السجن تؤنس ليلها شمعه
فتذكرني وتبكي غير أني لست أبكيها
آه.. زوجتي قدري..

الممثل - **(تطفأ الإنارة داخل الحاجز فيختفي شاخص الشاعر وتنطلق موسيقى هادئة تختلط مع كلمات الممثل)**
آه هاتي الحب.. روِّيني به
نامي على صدري
أوّاه

من الحُرَق التي رضعت فؤادي ثمة افترست شراييني

أحبيني

لأني كلُّ من أحببت قبلك لم يحبوني

تستمر الموسيقى بعد أن ينهي الممثل كلامه وهو في وضعه النائم. وبعد ثوانٍ تتغير الموسيقى لتصبح مارشات عسكرية توحي بنذير أمر جلل يحدث في البلاد، تستمر الموسيقى بالعزف وتنار إحدى الحواجر ليظهر خيال مذيع تلفزيوني داخل إطار كبير مربع الشكل يوحي بشكل التلفزيون)

المذيع - أيها الشعب العظيم، شعب البطولات والتضحيات والصبر السرمدي، نقرأ عليكم الآن القرار الصادر من لدن مقررنا العظيم حفظه الله ورعاه.

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ.

ويا عبادي ان كنتم تعتقدون أنى لا أراكم فذاك نقص في إيمانكم.. أيها الشعب العظيم، من واجبي عليكم أن أُطلِعَكم على كل ما نفكر فيه كوننا ولي نعمتكم والساهر على راحتكم دوماً وأبداً، وحرصاً منا على سلامة الأمة وعزتها فقد قررنا بعد الدراسة المكثفة والمداولة المستفيضة على أن تكون هذه الأمة التي نقودها ولاّدة للعقول العلمية والعبقرية والرجال العظام الذين سيقودون هذه البلاد إلى صروح العزة والكرامة، وبما أنكم قد أكتشفتكم في شخصنا العظمة والعبقرية والنظرة العلمية الدقيقة والصائبة دائماً، وبما أني عشت في يتمٍ ولم يكن لي أب يرعاني ويتابعني ومع ذلك

وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم، وحظيت برضاكم ومحبتكم وإعجابكم، فقد أكتشف علماؤنا بعد دراسات وبحوث علمية مكثفة استمرت لسنوات طوال. إن من واجب الدولة أن تستحدث ماكينة متطورة لإنتاج الأيتام والأرامل كي يزداد عدد العقول العبقرية في هذه الأمة المجيدة، لذا قررنا نحن مقرر هذه البلاد استحداث تلك الماكنة وتشغيلها اعتباراً من مساء هذا اليوم، وليكن كلامي هذا هو البيان رقم واحد الآمر بدوران الماكنة المباركة. وفقكم الله والعزة للأمة ولنا.

(تطفأ الإنارة على الحاجر ويختفي خيال المذيع)

الممثل - (يبدأ بترديد كلمات بصوت خفيض على نفس اللحن والطريقة التي تقرأ بها أسماء الله الحسنى قبل أن ينهي المذيع كلامه ثم يرتفع صوته بعد انتهاء المذيع من كلامه)

المناضل.. المتحامل.. المغوار.. الطيّار.. كاره العار.. مشعل النار.. الجسور.. الغيور.. أبو الطيور.. القائد.. الصامد.. الجامد.. الحاقد.. القائد الضرورة.. صاحب الصورة.. زوج الغيورة.. الصمصام.. الهمام.. مطلق الهَوَام.. محرق الأنام.. قاتل الأحلام.. المقرر المؤمن.. المرض المزمن.. خادم المساكين.. زفت الطين.. قاتل المقرر.. المقرر الجديد.. المقرر العنيد.. المقرر المدبر.. المقرر المقبل.. المقرر المقرر.. المقرر **(يتباطأ صوته حتى يتلاشى ليوحي أنه ما يزال في نومه)** المقرر.. المقرر.. المق.. الم.. الـ.. رر.. رر. رر..

(يسود صمت لثوانٍ ثم تنطلق أصوات مدافع وقنابل وبنادق

تستمر لفترة قصيرة، يستيقظ الممثل على أثرها مذعوراً)

الممثل - شكو؟.. شكو *يا معودين*؟.. أقصد، ماذا يحصل.. ما هذه الأصوات؟.. ماذا حدث

صوت - إنها الماكينة، ماكينة إنتاج الأيتام، لقد باشرت الماكينة المباركة بالعمل وقد بدأت الإنتاج العظيم.

الممثل - لعنة الله عليك وعلى الماكينة وبالتالي على المقرر الكلب.. المقرر المتغطرس الذي أقنعه المتخلفون والجهلة الذين يلتفون حوله بأنه عبقري وعظيم، إنها الكارثة، بل هي كارثة الكوارث، الشاعر يطالب بالاعتناء بالأطفال والعمل بالحب، والمقرر يأمر بيتمهم، يأخذ أطفال المدارس من مقاعدهم الدراسية ليلقي بهم في محرقة الحرب، يفجر بهم الألغام. العالِمُ يكتشف البارود لفتح الأنفاق ويمد الطرق ويستخرج خيرات الأرض، والمقرر يستخدمه في النسف والقتل والتفخيخ، الفنان يرسم جمال الحياة وسحرها، يرسم أحلامه وتطلعاته الإنسانية والمقرر يأمر بإعدامه حين يرفض رسم وجهه القبيح (عودة لأصوات الإنفجارات)

المشهد الثالث

(يظهر الممثل نائماً على الأريكة، ثم يستيقظ فزعاً وعلامات النوم والانزعاج على ملامحه)

الممثل - كابوس، كابوس سخيف، كابوس أزلي، منذ أن عرفتْ روحي متعة الروح وهام خيالي بالصفاء وهذا المقرر يطاردني في يومي ومنامي، كابوس، **(يشدد على العبارة)** المقرر كابوس، نعم، كابوس مقيت، بغيض، تماماً كما هي ثقافة إلغاء الآخر، **(يستدرك)** أتذكر فكرة راودتني وأنا أعيش مرحلة الصبا، كانت الفكرة بمثابة الذروة في ممارسةُ إلغاء الآخر، **(يتوجه إلى الجمهور)** وأنا على ثقة بأن أغلبكم وأنا من بينكم قد راودتنا تلك الفكرة. حينها فكرت في طريقة سحرية تمكنني من الاستحواذ على كل ما أتمنى وأشتهي، فتصورت بأنني أمتلك طاقة سحرية أستطيع من خلالها أن أوقف الحياة لفترة زمنية معينة، يتجمد خلالها كل البشر ويصبحوا كالتماثيل، غير قادرين على الحركة، غائبين عن الوعي تماماً، حينها أكون أنا وحدي أتجول في المدينة، أدخل المحال والبيوت والمصارف، أجمع ما أريد وما أتمناه، ثم راحت مخيلتي أبعد من ذلك، فتصورت نفسي وأنا أعبث بأجساد ووجوه من لا أحترمهم، خصوصاً المقرر ومدرس الجغرافية الذي كان يتسلى بضرب طلابه، وهناك أشياء أخرى فكرت

بها لا يمكنني أن أخبركم بها لأنها خاصة جداً وعاطفية بعض الشيء. المهم، وبعد أن أحصل على مبتغاي أعيد الحركة للبشر مرة أخرى فتعود الحياة من حيث توقفت. تصوروا أن صبي في الثانية عشر من عمره أو حتى في الخامسة عشر، يمتلك تلك المخيلة الخطيرة التي تتمنى أن تلغي جميع البشر في ضربة واحدة من أجل أن يحقق رغباته، ترى من أدخل في مخيلته تلك الأمنية الخطيرة؟ سؤال اتركه لكم كي تجيبوا عليه بعد حين. **(تنطلق موسيقى لمارشات عسكرية)**

صوت - أنت يا هذا، لقد وصل كلامك ودعوتك لإطلاق طاقة معينة من أجل إلغاء شيء معين إلى مسامع سيدنا المقرر، فقرر أن يزورك في نومك.. **(يقاطعه الممثل)**

الممثل - في نومي؟؟ كيف؟

صوت - إذاً فأنت غبي!! كنا نحسبك ذكياً مفكراً عارفاً بما دار ويدور حولك، ألم تشكُ منذ قليل من كوابيس في نومك يكون دائماً المقرر بطلها؟

الممثل - الحق معك، ولكن أرجو أن تمنحني العذر، لقد نسيت، ولكنها المرة الأولى التي أعرف فيها أن المقرر يستطيع أن يقرر دخول الأحلام والكوابيس متى شاء!!! **(يقاطعه الصوت)**

صوت - *كافي.. خلص.. انچب.. المهم الرسالة وصلتك.. چاو چاو.. امخبل..*

الممثل - **(يحدث نفسه)** *هاي شلون شغلة؟؟.. آني من غير ما أعرف وأفكر بيه يجيني بالنوم ويخوفني، انوب أعرف، وأنتظره؟؟..*

يعني ما راح أنام ما دام عند الچلب ذيل **(يغير من لهجته ويعود للغة العربية الفصحى)** هذه إحدى طرق الرعب التي يمارسها المقرر، يجعل المرء متخيلاً على الدوام أن المقرر إلى جانبه، وكما سمعتم، بكلمات بسيطة ظاهرها طيب وباطنها خبيث، انتزع النوم من عيني ربما لأسابيع، فكيف ينام من يتوقع مثوله أمام المقرر فجأة. ولكني لن أدعه يهزمني هذه المرة، فكما قرر هو أن يزورني بمنامي، قررت ألا أهرب أمامه في كوابيسي هذه المرة، سأواجهه، أفضحه، عليه أن يعرف بأنه مجرد شخص متغطرس، فارغ، هزيل.. **(يستدرك بحيرة وكأنه محاصر)** *بس الأول مو لازم أنام؟؟ شلون راح أنام؟؟ يا يابه.. هاي شلون مصيبة* **(يعود للهجته السابقة بعد أن يعدل من هيأته وكأنه يشد أزره)** ولكن سأهزمه، سأنام هذه الليلة بملء جفوني **(يصمت لثوان)** ربما.. إن لطاقة الحب مقدرة عظيمة. بمقدور من يتسلح بها أن يذلل أصعب العقبات. وقد عَرِفْتُ عن الروح التي علمتني استخراج تلك الطاقة من دواخلي والعمل بها، أنها كانت قوية جداً، أقصد الروح، معلمتي، كانت متزنة جداً، متماسكة، فهي لا تعرف الخوف **(يستدرك)** بالمناسبة الخوف كان الدرس الأول الذي تلقيته من تلك الروح، قالت إن الخوف من الإهانة هو الإهانة بعينها، حين تقابل شخصاً تتوقع منه قبح التصرف ووساخة اللسان، عليك ألا تفكر بالإهانة التي يوجهها إليك، فهي ببساطة إعلان مجاني عن

سوء تربيته وقبح أخلاقه، بل عليك أن تشتد إذا توقعتها منه لأنك ستردها إليه بأقسى صورها، ستردها وأنت تستخدم الثبات والجلد، ستدافع طاقة الحب عنك وعن نفسها.. سأنتصر على ذلك المعتوه الذي يريد زيارتي هذه الليلة **(تنطلق موسيقى هادئة في أرجاء المسرح بينما يتوجه الممثل صوب مكتبته، يستل كتاباً ويتوجه صوب الأريكة، يفتح كتابه بعد أن يجلس، وبمرور عدة ثوان ينخفض صوت الموسيقى تدريجاً ليبدأ الممثل بالكلام)**

الممثل - القراءة قبل النوم أفضل طريقة لقتل الأرق والقلق في آنٍ واحد، هذا ما علمتني إياه تلك الروح المتماسكة، وأتذكر أني في ليلة ماطرة سمعت أخباراً كارثية محزنة كانت تتحدث عن جرائم حدثت في شوارع وأزقة المكان، المكان الذي أنتمي إليه. عندها تلبسني الحزن والقلق، وعز علي النوم بعد أن سيطر على جفوني الأرق والقلق، فسحبت ديواناً شعرياً وأفردت جسدي على هذه الأريكة ورحت أقرأ **(يقوم الممثل بإفراد جسده على الأريكة توافقاً مع كلامه)** قرأت القصيدة تلو القصيدة، وأبحرت في صور مختلفة الأماكن والألوان حتى صرت أشم رائحة الأشياء المصورة في أبيات القصائد، كنت أقرأ مسخراً طاقة الحب أمام كلمات لذلك الشاعر الرقيق، حتى وصلت إلى قصيدة كان عنوانها «الهويات العشر» وحين قرأتها شعرت بالخوف على حياة الشاعر، تصورته يجول الشوارع الغارقة في الظلام ودماء

الضحايا، وأن اللصوص والقتلة تتربص به حيناً، وحيناً تقترب منه العساكر لتعتقله، كنت خائفاً من أن يغتاله المقرر بأيادي التكفيريين القذرة، أو رصاصة شرطي يأتمر بأمر مقرر آخر ظن أنه شبح إرهابي يروم زرع عبوة ناسفة، أصابني القلق والخوف عليه وصرت أرتعد رغم أني أعرف بأنه مات منذ زمن، مات قبل أن تعرف شوارع المكان دماء الضحايا وصوت الانفجارات، وبقيت أقرأ حتى غفوت (**يؤدي حركات الاستسلام للنوم وهو يكمل كلامه ببطء يصاحبه علامات الوسن**) وفي حلاوة الغفوة زارني الشاعر وتحدث معي (**تخفت الإنارة على الممثل دون أن تطفأ تماماً لتبقي شكل وملامح الممثل واضحة للجمهور بعض الشيء ويضاء داخل الحاجز القريب من قدميه فيظهر شاخص الشاعر**)

الشاعر - أسعدت مساءً يا صديقي المحترم جداً، السيد محترم، لقد تملكني إحساس وأنت تقرأ ديواني بأنك امتداد لنا، نحن شهداء طاقة الحب (**يطلق ضحكة**) أليست عبارة لطيفة؟ (**الممثل يبتسم بوضوح**) أعتقد أنها ألطف بكثير، بل أصدق من عبارة شهداء الوطن، إن طاقة الحب التي استعنت بها في قراءتك لقصائدي، شجعتني على زيارتك والتحدث معك، وما أردت أن أقوله، هو أن هناك الكثير مثلك، يشغل تفكيرهم تسخير طاقة الحب لتكون عنواناً للحياة المقبلة بدلاً من ثقافة الإلغاء، العنوان الحالي لحياتكم اليوم (**يستدرك**) وحياتنا نحن الذين رحلوا تاركين أفكارنا بين

أيديكم، إن قصيدتي الأخيرة التي قرأتها منذ قليل، ما هي إلا دليل واضح على أن ما يجري الآن في أزقة وشوارع المكان، هو امتداد طبعي لممارسات الغد، كون أن المقرر قد أستُبدِلَ بمقرر آخر لا يختلف عن سابقيه كثيراً، بل إن الجديد ألعن من القديم لسبب واحد فقط، هو أن الجديد ما زال في بدايته، وهو يسعى إلى اختصار الزمن الذي استغرقه المقرر السابق، فإذا كان سابقه قد أستغرق ربع قرن ليحصد عدد ضحاياه، فإن الجديد حريص على أن يحصد نفس العدد بنصف المدة كي يتفوق على سابقه، هل تعرف يا صديقي النائم بهدوء رغم أنه لا يمتلك ثمن سرير، لماذا كتبت قصيدتي؟ (يستدرك) مهلاً، يمكنك أن تتحدث مع القصيدة وتسألها، وهي كفيلة بالإجابة على الأسئلة (يبدأ الشاعر بقراءة القصيدة)

وخرجت الليلة
كانت في جيبي عشر هويات تسمح لي أن أخرج
هذي الليلة
اسمي بلند بن أكرم
وأنا لم أقتل أحداً... لم أسرق أحداً
وبجيبي عشر هويات تشهد لي
فلماذا لا أخرج هذي الليلة
.....
كان البحر بلا شطآن

والظلمة كانت أكبر من عيني إنسان

أعمق من عيني إنسان

ورصيف الشارع كان

خلواً إلاّ من صوت حذائي

الممثل - طق.. طق.. طق

الشاعر - أجمع ظلي في مصباح حيناً، وأوزعه حيناً

وضحكت لأني أدركت بأن أملك ظلي

وبأني أقدر أن أرميه ورائي

أن أغرقه في بركة ماء وحل

أن أسحقه تحت حذائي

أن أخنقه طيّ ردائي

الممثل - طق.. طق.. طق

الشاعر - والظل، ورائي... ورائي... ورائي

ما أكبر ظلك إنساناً يملك عشر هويات

في زمن.. في بلد لا يملك أي هوية

غنيت.. صفرت.. صرخت.. ضحكت.. ضحكت، ضحكت

وأحسست بأني أملك كل البحر وكل الليل

وكل الأرصفة السوداء

وأني أجبرها الآن على أن تصغي لي

أن تصبح رجعاً لندائي

أن تصبح جزءاً من صوت حذائي

الممثل - طق.. طق.. طق

الشاعر - ومددت يدي.. ما زالت عشر هوياتي في جيبي

هذا اسمي.. هذا اسمي

هذا ختم مدير الشرطة في بلدي

هذا توقيع وزير العدل

وقد مد به زهر حز فمي

وأطاح بسن من أسناني

خدش بعضاً من عنواني

وخشيت عليَّ.. فبلعت لساني

ومعي سبع هويات أخرى

أقسم لو مر بها جبل، أحنى قامته، ولقال هي الكبرى

عن شعري، عن أدبي، عن فني

ولأني

أحمل عشر هويات في جيبي

غنيت، صفرت، صرخت، ضحكت، ضحكت، ضحكت..

ما أكبر ظلك إنساناً يحمل عشر هويات في عتمة ليل

عشر هويات في زمن، في بلد لا يملك أي هوية

في اليوم الثاني

كان ببابي شرطيان

سألاني من أنت؟

أنا بلند بن أكرم، وأنا من عائلة معروفة

أنا لم أقتل أحداً، لم أسرق أحداً

وبجيبي عشر هويات تشهد لي وبأني

.... فلماذا؟

ضحكا مني.. ومن كل هوياتي العشر؟

ورأيت يداً تومض في عيني تسقط ما بين الخيبة والجبن

(تنطلق خلف الكواليس جلبة وأصوات توحي بأن هناك أمر جلل بينما يبقى الممثل على هيئته النائمة)

أصوات - *وخّر.. سوي طريق.. أمشي.. ابتعد.. هذا موكب السيد.. سيدي الطريق آمن.. منو هذا واكَف هناك.. وخروه.. شيلوه.. هذا شاعر ميت سيدي.. السطوح آمنة.. الشوارع خالية.. الأبواب مغلقة.. تفضل سيدي.. شيلوا هذا الشاعر ذبوه برّه* **(صوت متماسك يوحي بالسلطة)..** *حاضر سيدي.. أمرك سيدي.. ولك أنت شتسوي إهنا؟* **(يهرب شاخص الشاعر ويبقى المكان خالياً لثوان ثم يظهر شاخص المقرر)**

المقرر - **(يطلق ضحكة ساخرة)** *نايم إبن الكلب!! ولك لو ما آني وقراراتي التاريخية الصائبة، چان نمت هاي النومة الحلوة؟ طبعاً لا، چان الأعداء احتلوا البلد وصرت إنت وغيرك من شهداء الوطن..*

الممثل - **(يقاطع)** الأعداء الذين تتحدث عنهم، هم أعداؤك أنت، وليسوا أعداء الناس، أعداؤك يرأسهم مقرر متغطرس مثلك، ومثلك يحيطون به جمع من السذج..

المقرر - **(يطلق ضحكة حاقدة)** *مو مشكلة، خلوه يحچي على راحته،*

خطيه حلمان، بس آني ما زاعجني غير كلامه بالفصحى، الحيوان حتى بالنوم يحچي بالفصحى، خطيه مثقف هاهاهاهاها..

الممثل - المثقف يا هذا، هو عدوك الأول، عدوك الذي لا تجرؤ الإعلان عنه إلا حين تلصق به تهمة الخيانة والعمل لصالح قوى أجنبية، لأنه يعرف الكثير عن خفاياك ودسائسك ومخططاتك، فللمثقف القدرة التحليلية التي تعوزك ومن حولك. إنه الضمير الذي يعوزك ويقلقك دوماً، فرحت محاولاً شراءه بشتى الطرق، ونجحت بمسعاك، اشتريت منهم الكثير، ولكن عليك أن تعلم بأن أي مثقف يرضى العمل بهدف خدمتك تكون صفة الإبداع قد انتزعت منه في يوم عمله الأول (**تطفأ الإنارة في الحاجر الذي يتواجد فيه المقرر بينما يستمر الممثل بكلامه**) ويكون قد فقد قدرته التحليلية التي كان يتمتع بها، بل يصبح مغرماً مهووساً بشعاراتك وتنظيراتك الخاوية، ولا يخجل من الإفصاح عن أمنياته بقتل كل من يقف ضدك، ليس حباً بك، بل خوفاً من أن يكشف الآخر زيفه ومحبته الدسمة لك (**إضاءة في الحاجز الآخر القريب من رأس الممثل يظهر شاخص رجل واقف، يبدأ بالكلام**)

الشاخص - خلاصة القول، أن المثقف التابع للرزاق المقرر، الواحد المنظّر، وليكن شاعراً، أقصد يقرض الشعر وليس شاعراً بالمسؤولية، يكون في الحقيقة قد خضع لعملية تحويله، فتحول من مفكر حر إلى تابع، عبد ذليل، وبهذا فإن تصنيفه

الأساس يكون قد سُحب منه تلقائياً، كيف لا وهو الذي رضا استبدال دواخله ليحتل محلها الناظم المتمسك بمورد رزقه، وما يرمي له سيده من فتات عظام موائده الباذخة. أي أنه رضيَ أن يكون أجيراً مهمته النفخ في قربة غرور سيده المقرر وجلاوزته، ونراه يكتب دغدغات تداعب ذكورية سيده الذي يطرب لها منتشياً ويتأوه لها حتى تستمني روحه قاذفة حقدها على كل من رفض الانضمام إلى حاشيته من المرتزقة العارفين بفعل القلم. **(يبدأ الممثل بتحريك جسده ورفع رأسه للنظر صوب الحاجز المضاء، ثم يوزع نظراته بسرعة المذهول الذي يريد التأكد من صحة الموقف بين الحاجزين، ثم ينحني بجذعه خلف الأريكة ليسحب دمية يضعها مكانه حيث كان نائماً، ليوحي بأن روحه هي التي تتحرك بينما جسده مازال نائماً بينما الشاخص مستمراً في كلامه)** تلك هي طريقة تحضير الأرواح المسخ التي استحدثتها ماكينات الدجالين من مطلقي الشعارات الزائفة، ماكينات الواحد المنظّر، الرزاق المقرر.. وأتذكر أن في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، كتب أحد المفكرين في رواية له حيث قال: كل فكرة زائغة خطرة. إن الخياليين يُحَسَبون مكفوفي الأذى، وهذا خطأ، لأنهم يرتكبون شراً كبيراً، فالخيالات التي هي في الظاهر أقل ضرراً هي في الواقع سيئة مؤذية تغري المرء بأن يعاف الحقيقة.. يعني بصريح العبارة كان يريد ذلك المفكر أن يقول: إن شعارات المقرر تشكل خطراً كبيراً

على وضوح الحقيقة. (تطفأ الإنارة داخل الحاجر فيختفي الشاخص)

الممثل - (يؤدي دوره وكانه في حلم مزعج، كابوس) كيف هذا؟، كيف يحدث أن شخصاً غيري يتحدث مع المقرر بهذه الصراحة وهذه القسوة، أين ذهب ذلك المقرر اللعين، ربما فر بعد أن عرف الحقيقة (تنار الإضاءة داخل الحاجز الأول فيعود شاخص المقرر حيث كان دون أن ينتبه له الممثل المنشغل بحيرته وكلامه) لا، إنه يعرف الحقيقة، يعرفها جيداً، فلقد فعلها كل الذين سبقوه

المقرر- (يطلق ضحكة صاخبة فينتبه الممثل لوجوده) *ولك إنت صحيح حمار، هاهاها، لو ما حمار، كان ما اعتقدت بأني هربت، أنا البطل المغوار باني مجد البلاد، أهرب؟!!!، ومِن مَنْ؟ من جريذي قذر مثلك، ولك والله العظيم لو ما الشغلة مجرد حلم، كان صلخت جلدك وسويت منه أحذية للحماية*

الممثل - من ذاك الذي كان يتحدث منذ قليل؟

المقرر - *هذا واحد خائن، كان مسجون عندي لأنه ما يعرف يكتب شعر نظيف، وبعدين اتمرض ووصل للموت، فأشفقنا عليه وأطلقنا سراحه حتى يموت بعيد عنا، بس الملعون طلع بسبع أرواح، وكدر ينهزم من البلاد ويعيش بحضن الإمبريالية..*

الممثل - ليس هناك خائن غيرك، وأنت تعرف هذه الحقيقة، فأنت سبب مصائبنا، أنت من قتل طاقة الحب داخل أرواح من يحملوها، قتلتها عند الأطفال حين قررت تجويع آبائهم كي

يمتهنونهم في أشغال حقيرة تدر عليهم دراهم حقيرة تاركين مقاعدهم الدراسية وأحلامهم، أنت تخشى طاقة الحب من أن تتحرك داخلك أولاً فتكون رؤفاً رحيماً، تخشى أن يكبر الأطفال وهم متعلمون مدركون لما تغمز له في شعاراتك الزائفة وتصريحاتك الوقحة، قتلت الحب داخل النساء ووضعت ثمناً لأزواجهن، فصار بعضهن يتمنين بيع أزواجهن كي يحصلن على الثمن طمعاً بحرية زائفة أطلقتها أنت في شعاراتك الخداعة المخدرة

المقرر - (يطلق ضحكة مجلجلة) *لك بابا آني شعليه، إذا هنّ إملعبات ويريدن ايبدلن أزواجهن بسرعة، ايريدن واحد جديد مليان شباب، آني كل الي سويته وضعت سعر معقول إلى كل رجل يذهب إلى القتال دفاعاً عن الوطن الغالي، وهنّ ما صدكَن، كَامن يدفعن الرجال بالكَوة حتى يروح أيموت.*

الممثل - أنت من أوقد النار، أنت من يشعل فتيل الحروب ويلقي البشر في محرقتها، متخذاً من الوطن ذريعة للموت

المقرر - (بتذمر) *هاي شلون شغلة؟؟ هم كَام يحچي بالفصحى؟؟ ولك إنت ليش ما اتصير عاقل وتحچي مثلنا؟ بس مو مشكلة الشغلة حلم بحلم، اخذ راحتك عيوني، بعدين أعلمك* (يستدرك) *المهم يا مثقف، أسمع مني زين، بما أن الموضوع مجرد حلم، راح أتكلم وياك بصراحة، أنا أتفق معاك بأنك على حق، ولكن شنو الحل؟ إذا آني رحت، يجي واحد غيري وتبدأ القصة من جديد، يذبح ويصلخ وينهب، يعني المشكلة هيه هيه، فأنت ليش*

ما اتصير عاقل وتخليك وياي؟؟ **(يعود الممثل إلى الاستلقاء على الأريكة بعد أن يعيد الدمية خلف الأريكة بينما المقرر مستمراً بالكلام)** *والله إذا صرت وياي أخليك فوك، فوك، وتصير شخصية شبعانة، مو جربوع ما عنده مكان زين اينام بي، ليش أنت عبالك هذي الكوابيس إلي اتشوفها بالنوم بسببي؟؟ مو أكلك حمار، يا حمار هاي بسبب نومتك السخيفة على هاي القنفة الحقيرة. المهم اتصير عاقل تربح، وإذا ردت تبقى حمار إنت الخسران، لأنه آني مايهمني شيء، واللي أريده أسويه غصباً عنك وعن أبوك أبو منية* **(يطلق ضحكة عالية)** *مسكين ظل طول عمره يحلم بولد، ميدري راح ايجيب واحد حمار، بعدين لا تنس أفضالي عليك، أنا الي علمك ودخلك بالمدارس* **(يبدأ بالكلام وكأنه يلقي خطاباً)** *هذا الوطن المحروس هو الذي علمك، وأنا رمز الوطن وباني مجده، أنا من بذل الأموال لتعليمك، فهل يحق لك أن تفكر بي بهذه الطريقة الجحودة؟*

الممثل - نعم، في مملكتك قرار للتعليم، ولكن وجود ذلك التعليم أو عدمه سيان، فهل لك أن تجيبني عن سبب وصول نسبة الأمية إلى 60 أو 70 في المئة في منطقة قرارك؟ لا تتلعثم كثيراً، أنا أجيبك، لأنك تعرف أن الفصل الواحد في مدارسك ينحشر فيه بين 60 إلى 120 طالب، صف لا تتجاوز مساحة عن 20 متر مربع، صفوف دراسية تشبه تماماً زنازينك العديدة، في حين أن مكتبك يتسع لمئات الدمى، رغم أنك وحدك من يشغله، أنت فقط في أغلب الأحيان

المقرر - (بتمسكن) *يا أخي أنتو هواي، ملايين، وأني وحيدي، يعني امنين أجيب؟ خليك منصف شوية، تره والله أنت لعبت نفسي* (يتحرك ويهم بالذهاب) *يالله ياجماعة، خلو هذا الحمار نايم، عدنا شغل كلش مهم..* (تطفأ الإنارة داخل الحاجز وتبقى الإنارة الخافتة المسلطة على الممثل لثواني ثم تتغير تدريجياً حتى تسطع.. الممثل يقوم بحركات متشنجة توحي بأنه ما يزال تحت تأثير الكابوس. ثم تنطلق موسيقى هادئة فيهدأ جسده وتتلاشى حركته تدريجياً)

الممثل - (يتكلم وكأنه يهذي في نومه) الله.. موسيقى.. الموسيقى.. كم هو جميل الإصغاء إلى موسيقى الروح، الإصغاء إلى موسيقى الأشياء لمعرفة مقدار الحب والصفاء الذي تكتنزه، الإشارات الموسيقية التي تهبها لنا الحياة كإشارات نترجمها صور ومواقف.. موسيقى الضحكات والتنهدات، موسيقى الأشجار والرعد والمطر، موسيقى الطبيعة، موسيقى القمر ورقصاته، هديل الحمام والزقزقات والتغريد والصفير، موسيقى وقع أقدام، خطوات خائفة، خطوات راكضة، خطوات هاربة (يستيقظ بفزع ثم ينادي) هي أنت!! أيها المقرر، لماذا تهرب؟ لم أكمل كلامي بعد، كنت أريد أن أقول لك بأنني أعرف كل دسائسك وخبثك، أعرف أنك تأخذ أطفال المدارس من مقاعدهم الدراسية لتلقي بهم في محرقة الحرب، تفجر بهم الألغام، وأنك تدفع للأطباء رواتب شهرية تافهة كي يلتجئوا إلى الاحتيال والنصب

على البسطاء، وكثيراً منهم تحول إلى جراحة التجميل، فصاروا يحشون صدور الأمهات بالسليكون ليتعذر عليهن رضاعة أطفالهن، أنت تقتل الطفولة أقصد طاقة الحب في كل دقيقة، وأعرف أيضاً أن زوجتك تحضى بحرية عظيمة بعد أن ألم بك العجز، ترى ما هي الوظيفة الرسمية التي تشغلها زوجتك؟ زوجة المقرر؟ **(يبتسم هازئاً)** هل سمعت من قبل بوظيفة رسمية بهذا الأسم؟ تحضر المؤتمرات وتشكل الجمعيات وتمنح الجوائز، والمشكلة الأدهى أنها تصب اهتماماتها إعلامياً!! إعلامياً ها !! بالأطفال من اليتامى والمصابين بالأمراض المزمنة، أي أنها تتاجر بأرواح أضعف البشر. **(يستدرك فزعاً)** يا إلهي ما هذا؟ ما هذا الذي أقوله؟ هل جننت؟ أنا لست نائم، لقد انتهى الحلم، ربما سمعني أحدهم **(يتلفت يميناً وشمالاً ثم يهمس لنفسه)** *لا .. لا ، ماكو شي، أكيد محد سمعني* **(يغير من لهجته)** من المؤكد لو أن أحداً قد سمع كلماتي، لكنت الآن سابحاً ببركة من دمي في هذا المكان الرطب، ولكن رغم هذا عليَّ أن أحتاط للأمر، عليَّ العودة إلى الأريكة وأمثل النوم **(يتجه إلى الأريكة ويضطجع بجسده سريعاً ثم يغفو حين تنطلق أنغام موسيقية هادئة وعند مرور وقت قصير ينخفض صوت الموسيقى وتضاء إحدى الحواجز فيظهر شاخص يعتمر قبعة تميزه ويبدأ بالحديث)**

الشاخص - أعرف يا صديقي أنك مشغول بمهمة كشف الحقيقة، حقيقة

الحب المهزوم أمام الممارسات القبيحة التي يمارسها المتسلطون، وأعرف أنك تدرك أن المفكر الباحث عن الحقيقة لا يصح أن يفقد الحب كطاقة تحركه وتدفعه صوب الخير، وأن عليه أن يواجه أماني وحماقات الناس بلا تكبّر، وليس له مع ذلك أن يجعلها تتملكه وتسيطر عليه، وتعلم أن الفرق بين الحكيم والدجال، بين الكاهن والمدعي، بين الأخ المُعين والمستغل المتطفل، خطوة واحدة، وأن الناس قد تغيرت أهواؤهم بسبب الكوارث التي صبها عليهم المقررون وصاروا يفضلون أن يدفعوا للص وأن يستسلموا للدجال، على أن يقبلوا معونة مجانية تقدم لهم مخلصة بلا أنانية، ويفضلون الدفع بالمال والبضاعة على الدفع بالثقة والحب. وإنهم يخدعون بعضهم البعض، ويتوقعون أن يقعوا في الخديعة. كان من الضروري أن يتعلم المرء النظر إلى الإنسان نظرته إلى كائن ضعيف أناني جبان وأن يفهم مدى اشتراكه في هذه الصفات والدوافع الشريرة. ومع ذلك أن يعتقد ويوطد نفسه على أن الإنسان فكر وحب أيضاً (**تطفأ الإنارة داخل الحاجز بينما يقوم الممثل بترديد بعض كلمات الشاخص وهو في حالة النوم**)

الممثل - أنا أدرك أن المفكر الباحث عن الحقيقة لا يصح أن يفقد الحب كطاقة تحركه وتدفعه صوب الخير، وأن عليه أن يواجه أماني وحماقات الناس بلا تكبّر (**تضاء الإنارة داخل الحاجز الآخر فيظهر شاخص حاسر الرأس ماسكاً بعصا،**

يبدأ بالحديث بعد أن ينتهي الممثل من كلامه)

الشاخص - إن الأخطار والكوارث التي مرت بنا، نحن أبناء هذه الأرض، لجديرة في منحنا الفرصة للتأمل، حتى نصبح في موقع يجعلنا نرى المستقبل، المستقبل الذي ينذر باستمرار الكوارث وتزايدها بمسببات أخرى ربما لا نعرف لها أسماء في وقتنا الحاضر، ومن أجل أن نحتاط لما هو قادم، علينا أن نحرك طاقة الحب ونجلسها في مكانها الصحيح، المكان الذي احتلته ثقافة إلغاء الآخر منذ قرون، علينا أن نخرج من سلبيتنا، فلربما يفكر المرء بأنه في وقته الحالي يعيش في بحبوحة أمن، أو ربما يفكر بأنه يموت قبل حدوث الأسوأ، ولكن هذا من شأنه تدمير ما بناه هو والآخر من قبله، وهذه السلبية في حقيقتها، مشاركة فعلية في تفشي الجريمة، جريمة ثقافة الإلغاء، علينا أن نحجّم نفوذ المقرر بهدف إضعافه ومن ثم اختفائه كلياً وإلى الأبد، علينا أن نتوج طاقة الحب ونجلسها على عرش الحياة. **(تطفأ الإنارة داخل الحاجز بينما يقوم الممثل بترديد بعض كلمات الشاخص وهو في حالة النوم)**

الممثل - إن الأخطار والكوارث التي مرت بنا، نحن أبناء هذه الأرض، لجديرة في منحنا الفرصة للتأمل، حتى نصبح في موقع يجعلنا نرى المستقبل، علينا أن نحرك طاقة الحب ونجلسها في مكانها الصحيح، المكان الذي احتلته ثقافة إلغاء الآخر منذ قرون **(تضاء الإنارة داخل الحاجز الآخر فيظهر**

شاخص امرأة، تبدأ بقراءة شعرية بعد أن ينتهي الممثل من كلامه)

الشاعرة - وفتىً هنالكَ في انطواءْ
يأبى الرقادَ ولم يزلْ يتنهدُ
سهرانَ يرتقبُ النجومْ
في مقلتيه برودةٌ خطَّ الوجومْ
أطرا فَهَا.. في وجْهه لونٌ غريبْ
ألقتْ عليه حرارةُ الأحلام آثارَ احمرارْ
شَفَتاهُ في شبهِ افترارْ
عن شِبْهِ حُلْمٍ يفرُشُ الليلَ الجديبْ
بحفيفِ أجنحةٍ خفيّاتِ اللُحونْ
عيناهُ في شِبْهِ انطباقْ
وكأنها تَخْشَى فرارَ أشعة خلف الجفونْ
أو أن ترى شيئاً مقيتاً لا يُطَاقْ

(تطفأ الإنارة تماماً في جميع أرجاء المسرح بينما تستمر الشاعرة بتلاوة قصيدتها)

الممثل - **(يأتي صوته منخفضاً بحيث لا يؤثر على وضوح كلمات الشاعرة، يكون صوته وكأنه صدى لصوت الشاعرة، يتلو كلماته وكأنه يغني،)** أهٍ أيتها الشاعرة الراحلة، كم من الحب تكتنزه روحك الحالمة، آهٍ يا نازك، يا خادمة الحب وعاشقة السماء والنجوم والنيازك **(ثم يبدأ بغناء مقاطع من القصيدة التي تتلوها الشاعرة، ويستمر بالغناء حتى**

بعد أن تنتهي الشاعر من تلاوة أبياتها)

الشاعرة - هذا الفتى الضَّجِرُ الحزينْ
عبثاً يحاول أن يرَى في الآخرينْ
شيئاً سوى اللُّغْزِ القديمْ
والقصّةِ الكبرى التي سئمَ الوجودْ
أبطالها وفصولها ومضَى يراقبُ في برودْ
تَكْرارَها البالي السقيمْ
هذا الفتى.....
وتمرُّ أقدامُ الَخفيرْ

(تنطلق وسط الظلام جلبة ووقع أقدام وهمهمات توحي باقتحام المكان من قبل العسكر فيقطع الممثل غناءه)

صوت - (يصرخ بوحشية) *وينه هذا إبن الكلب ، وينك يا جبان ، يا خائن ، وصلت بيك الوقاحة أن تتطاول على زوجة سيدنا المقرر.. الزموه.. لا تخلوه ينهزم..* **(ضربة واحدة صاخبة تعلن نهاية المشهد)**

(إنارة في جميع أرجاء المسرح، يظهر عندها المكان خالياً من البشر تماماً، حينها تنطلق أغنية «شادي لفيروز» مصحوبة بتلاوة الممثل لأبيات قصيدة شعرية، تستمر الأغنية وتلاوة الممثل حتى نهاية الأغنية ثم يسدل الستار).

الممثل - **(يتلو الأبيات مع بداية أغنية شادي)**
هذا الفتى الضَّجِرُ الحزينْ
عبثاً يحاول أن يرَى في الآخرينْ

شيئاً سوى اللُغْزِ القديمْ
والقصّةِ الكبرى التي سئمَ الوجودْ
أبطالها وفصولها ومضَى يراقبُ في برودْ
تَكْرارَها البالي السقيمْ

ستار

كوبنهاغن
2007 - 2005

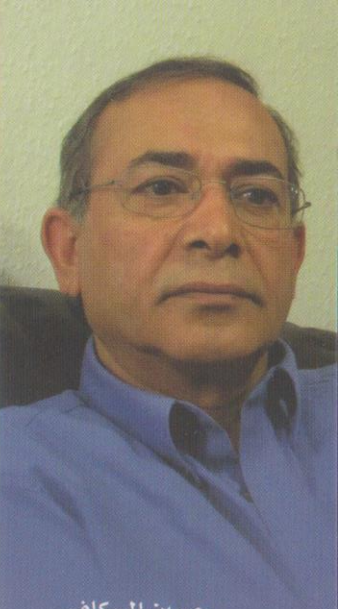

حسين السكاف..
كاتب وناقد فني
من العراق

طاقة الحب

إن الأخطار والكوارث التي مرت بنا، نحن أبناء هذه الأرض، لجديرة في منحنا الفرصة للتأمل، حتى نصبح في موقع يجعلنا نرى المستقبل.. علينا أن نحرّك طاقة الحب داخلنا، ونُجلسها في مكانها الصحيح، حيث الروح، المكان الذي احتلته ثقافة إلغاء الآخر منذ قرون..

على الإنسان أن يتعلم التقاط الإشارات المنبعثة من الآخر، فلكل طبيعة بشرية إشاراتها الخاصة، للطيب إشارة، وللخبيث إشارة، للقاتل إشارة وللمسالم إشارة، للخجول إشارة وللوقح إشارة، على الإنسان أن يدرّب نفسه على التقاط تلك الإشارات كي يتوجه إلى طريقه السالك المؤدي إلى تحسين مصيره. بمقدور الإنسان فعل ذلك، أليس هو من يلتقط إشارات الحب بأقصر زمن ودون أية كلمة؟، إذاً فعليه أن يدرّب نفسه على إلتقاط الإشارات الأخرى.

حين نتمكن من إظهار طاقة الحب والعمل بها، نكون قد منحنا الأرض فرصة للتخلص من القلق الذي ينهشها منذ زمن.

AL-RAWSAM
الرّوسم
للصحافة والنشر والتوزيع
شارع المتنبي - مجمع الميالي التجاري
هاتف: 07714247592

تصميم الغلاف: م. جمال الأبطح
لوحة الغلاف: غوستاف كليمت